صندوق بريد ٧

مصطفي توفيق

صندوق بريد ٧
مصطفي توفيق
تدقيق لغوي : عبد الله ابو الوفا
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع : ٢٠٢٠/٣٦٥٩
ترقيم دولي : ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٩٤-٩١-٣



دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
Www.FaslaPub.Com

الطبعه الأولي يناير ٢٠٢٠



صندوق بريد 7

مصطفي توفيق



إهداء

لكل الأرواح التى ضلت طريقها فى هذا العالم،

لكل من تمسك بالأمل، ولكل من تحمل الألم،

لكل من أيقن أن نهايته ستكون سيئة إذا انتهت الليلة، فأكمل روايته فى يومٍ آخر.

الى تلك المجموعه الصغيره mind mix ولكل من ساعدونى

إهداء خاص

بينما هربت كل الأيادى من مصافحة يدى بسبب برد ديسمبر، كانت هى التى تحملت قصور دورتى الدموية وأمسكت يدى بيديها حتى دفئت بحبها.

إليها جميع رواياتى وأشعارى دائمًا وأبدًا،

إلى حبيبتى الأولى،

إلى أمى.

الفصل الأول

فى ليلة ديسمبر الأخيرة ووسط احتفال الملايين بالعام الجديد، وسط القبلات ووسط الأغانى ووسط الصخب، وقف حسام صامتًا متفاجئًا، يحدق فى عينى مرام غير مصدق لما تقوله:

-"لم أعد أحبك".

-"ببساطة هكذا؟!"

-"أجل".

-"سنتان! مررنا بسنتين عصيبتين والآن وبكل بساطة لا تحبيننى؟!"

-"أعلم أن هذا صعب، أنا آسفة".

-"آسفة؟ الليلة هى الذكرى الثانية لنا يا مرام، كان يفترض أن نحتفل لا أن ننفصل!"

-"أعلم هذا لكننى لا أستطيع أن أكمل الكذب، لقد توقفت عن حبك منذ فترة وقلت لنفسى إن هذا وهم أو مجرد حزن من شىء فعلته،

لكننى بالفعل لا أشعر تجاهك كما أشعر من قبل".

-"هذا بسبب ابن عمك صحيح؟"

-"محمد ليس له دخل فى هذا".

-"بلى، لقد أحببته قبل أن تحبينى، ولم تنجح الأمور بينكم من قبل، والآن عندما اعترف لك بحبه حرك بداخلك شىء ما، أليس كذلك؟"

-"حسام! لا!!"

-"أجل، مرام أنا أحارب كل شىء لأكون معك، لكننى إن استمررت فى فعل هذا سينتهى بى الأمر بمحاربتك".

-"فقط توقف عن فعل هذا".

نظر لها بشدة ثم نقل نظره إلى ماء النهر أسفله ثم إلى منتهى بصره الذى انتهى مع مجرى النهر وقال:

-"لقد اكتفيت، أنتِ تعلمين جيدًا ما فعلته من أجلك، وتعلمين إننى مستعد لفعل أى شىء لك، لقد حاربت كل شىء، أهلى وأهلك وكل من وقفوا فى طريقنا، وكافحت لأحصل على وظيفة جيدة وراتب جيد وجهزت كل شىء ليكون بقدرك وقدر حبى لك، لكن يبدو أنك لا تستحقين هذا فى النهاية".

-"أعلم أننى جرحتك، أنا آسفة، ولكن كل هذه الأشياء ستنفعك مع

أى واحدة ستختارها بعدى، ستقع فى الحب مرة أخرى، أنا لست نهاية العالم".

-"أظن أنك نهايته بالنسبة لى، اذهبى يا مرام، من الجيد أنك قلت لى هذا قبل بداية العام الجديد".

-"أعلم هذا، فأنت لا تود أن تبدأ العام الجديد معى".

ثم يكملان الحديث فى نفس الوقت:

-"إذا كنت لن أنهيه معك".

-"إذا كنت لن تنهيه معى".

ويبتسمان ابتسامة صغيرة ثم تقول مرام:

-"تعلمنا شىء جيد من هذا المسلسل".

-"تعلمت كل شىء، اذهبى يا مرام ولا تعودى مرة أخرى، طابت ليلتك".

نظرت إلى الأرض وزمت شفتيها ثم قالت:

-"طابت ليلتك".

واستدارت وتركت حسام بمفرده أمام النهر، كان يفكر فى لحظتها بكل شىء، منذ بداية كلامهما وحتى اللحظة، كان كل شىء يتخبط فى رأسه بعنف حتى احمرت عيناه وبدأ فى البكاء، واستمر فيه حتى بدأت

الألعاب النارية تزين السماء فوقه، فعلم أنه بدأ العام الجديد وحيدًا، واعتقد أنه سينهيه وحيدًا أيضًا.

الفصل الثاني

حسام الشاب ذو العشرين عامًا هو شاب عادى للغاية، نحيل قليلًا وشعره بنى لامع كـلون عينيه، ميزه قليلًا طوله، مع بعض النمش المترامى على وجهه، كانت ملامحه وسيمة وجذابة بطريقة ما، وهذا ما ساعده أن يضع قدمه فى أول طريق مجده كممثل فى إحدى المسلسلات التى تجذب فئة معينة من المجتمع فقط لمشاهدتها، لم يكن يؤمن أن الوظائف الحكومية أو وظائف الشركات الخاصة ستمكنه أن يكون غنيًا لذلك قرر سلك طريقه الخاص واستخدم موهبته فى التمثيل ليكسب رزقه، لذلك لم يكن يعطى بالًا لدراسته أو امتحاناته، لدرجة أنه كان على استعداد أن يضيع على نفسه امتحان نهائى ليذهب إلى تجربة أداء لفيلم أو مسلسل، وسبب هذا تأخره فى دراسته عامين. التحق بكلية التجارة ولم يحضر ولا محاضره منذ بداية الفصل، لم يذهب إلى الكلية من الأساس، ولم يكن يعرف أحد هناك، وكانت زيارته الأولى

فى اليوم الثانى بسبب امتحان منتصف العام.

دخل المدرج وكان شاحب الوجه، لم ينم جيدًا وكيف ينام جيدًا إذا كان قلبه مكسورًا، لم ينظر إلى أحد، فقط دخل وجلس مكانه وبدأ يفكر مرة أخرى من البداية حتى النهاية، فى كل شىء وللمرة الألف، كانت ليلته عصيبة، قضاها بأكملها أمام هذا النهر، وشاهد شروق الشمس هناك، كان يخطط أن تكون ليلة مثالية له ولمرام، فمنذ عامين بدأت أعظم القصص على الإطلاق، لكنها انتهت بسرعة جدًا بالنسبة لقصة عظيمة، على أية حال، ظل حسام مستيقظًا حتى موعد الامتحان، ولم يعلم إلى أين يذهب، لم يكن يريد الذهاب إلى المنزل ولم يكن يخطط لأن يبقى فى الشارع أكثر من هذا، فانتهى به الأمر يتجول فى الشوارع حتى قرر أن يذهب للامتحان.

-"اكتب الاسم ورقم الجلوس أولًا ثم استعن بالله وجاوب".

قاطعه صوت المراقب الذى جلس أمامه وحينها التفت إلى الورق الذى أمامه وسحب قلمه وأطال النظر فى الورق بدون أن يعرف ماذا يكتب، لم يفهم أى سؤال ولم يكن يريد أن يفهم، فقط تاه فى السطور الفارغة إلى أن أزاح غطاء القلم وبدأ يكتب:

"عزيزتى مرام، ليالى الشتاء كانت حزينة قبل أن ألقاكِ، وبعد أن لقيتكِ

ورأيتك للمرة الأولى أصبحت ليالىّ أسعد الليالى، والآن فهمت أن الحزن تركنى مؤقتًا فقط، كان يجلب التعاسة والبؤس والاكتئاب وباقى رفاقه ليقيموا معى ما تبقى من عمرى، سألته أين الأمل؟ فقال لى إنه قد يأتى، إجابته صدمتنى، فحتى انتظار الأمل يحتاج الأمل نفسه، الطريق أمامى مظلمة لا محالة، فلقد أخذتِ الضوء عندما رحلت، صدقينى لا أعلم لماذا أوجه حديثى إليك وأنا أعلم إنك لن تتلقيه، لكننى اعتدت أن أشاركك حزنى على كل شىء، فأرجو منك أن تتحملى حزنى عليك».

دمعت عيناه وسال أنفه قليلًا، فقام وترك الورقة فى مكانها وخرج بدون استئذان، فقام المراقب من مكانه وذهب إلى حيث كان يجلس حسام وأمسك ورقته وقرأ ما بها سريعًا ثم رماها وجرى ليحاول أن يلحق به، كان المشهد يثير حيرة الطلاب فقامت الطالبة التى كانت تجلس بجانب حسام بفتح الورقة وقراءة ما بها هى أيضًا وعندما عاد المراقب أخبرهم أن الفتى غادر وطلب منهم أن يركزوا فى امتحانهم وألا يعطوا بالًا لما حدث منذ قليل.

وعندما انتهى الامتحان ذهبت الطالبة إلى المراقب وقالت له:

-«أين ذهب حسام؟»

-«لا أعلم، هل تعرفينه؟»

-«لا لم أره من قبل، لكن كان المنظر غريبًا وأردت أن أعرف أين ذهب فقط».

-«لم ألحق به للأسف، ما كتبه لم يكن يتعلق بالمادة على الإطلاق، كان أشبه بخطاب إلى حبيبته السابقة أو شيء ما».

-«لقد قرأته، كان كلامه حزينًا، أتمنى من الله ألا يُحدث أى ضرر لنفسه».

-«أنا أيضًا أتمنى ذلك!»

انتهى الحديث بينهما وذهب كل منهما فى طريقه.

الفصل الثالث

منة هى طالبة فى كلية التجارة، ما زالت فى مقتبل عمرها وأمامها الكثير لتتخطاه، عمرها ثمانية عشر عامًا وتميزت بقلبها الطيب كثيرًا، يشبه فى طيبته جدتى، وبجانب طيبتها هى أيضًا جميلة، جميلة للغاية، شعرها بنى لكنه أحمر حريرى، وعيناها كستنائية خلابة، وجهها يحمل ملامح الأطفال وطولها الذى لم يتجاوز المتر ونصف ساعدها على أن تشبه طفلة كبيرة جميلة للغاية، يمكن للكفيف أن يلاحظ جمالها بكل بساطة.

هى ذكية ومجدة فى دراستها، تحلم بأن تتخرج فى الكلية لتعمل فى شركة قد تصبح يومًا ما مديرتها، لم تكن تسمح لأى شىء أن يعطلها عن دراستها، لكن تلك الورقة التى قرأتها أثناء الامتحان أثارت انتباهها قليلًا، لم تستطع أن تركز فيما كانت تكتبه وكان بالها مشغولًا بذلك الفتى الذى بكى بجانبها ورحل، كانت تحدث نفسها قائلة:

-"هل كان بحاجة لمساعدة؟ بالطبع كان بحاجة إلى مساعدة، لماذا لم أساعده، ربما لأننى لم ألحق به، ليس ذنبى، هل هو بخير؟ هل أذى نفسه؟ هل سيعود مرة أخرى؟؟"

كان عقلها مشغولًا بحسام بشدة، لكن ذلك كان ليوم فقط أو اثنين، فلقد بدأت تنساه هو وخطابه وبدأت تركز فى امتحانها القادم وتذاكر من أجله، حتى حانت ليلته، بدأت تفكر فى حسام مجددًا، وهل سيأتى اليوم أم لا، وحاولت أن تفكر فى قصته، وتحاول أن تتخيل ما حدث له قبل الامتحان وبعده، حاولت بكثرة إلى أن أرهقها التفكير وغلبها النوم، وفى اليوم التالى بعد أن ذهبت إلى الكلية وبدأ الامتحان كانت تنظر إلى المكان الفارغ بجانبها، وأين يمكن أن يكون صاحب هذا المكان الآن؟ هل انتحر؟ هل مات حزنًا؟ هل ذهب ليترجى مرامه ألا تتركه؟ أين هو الآن؟ سرحت قليلًا وهى تنظر بجانبها إلى أن جاء إليها المراقب وطلب منها أن تركز فى ورقتها وتبدأ فى الحل.

وبعد أن أنهت منة الامتحان وسلمت ورقتها، كانت حزينة قليلًا لأنها لم تستطع التركيز فى هذا الامتحان أيضًا، لم تكن تعلم هل تلوم نفسها أم تلوم هذا الأحمق الذى جاء منذ بضع أيام وبكى بجانبها ثم اختفى، قررت أن تتمشى قليلًا على النيل لربما تهدأ أعصابها، وخصوصًا أن

اليوم مشمس دافئ، ووصلت إلى جسر من الجسور التى تربط القاهرة بالجيزة وبينما هى تتمشى شاهدت شخص ما تعرفه يقف مستندًا إلى السور ينظر إلى الماء؟

-"يا إلهى! إنه هو!"

سارت ناحيته ووقفت بجانبه ولا تعلم كيف تبدأ الحديث فبدأه هو:

-"كيف يمكننى أن أساعدك؟"

قالت بصوت منخفض خائف:

-"أنت حسام؟"

-"أجل، من أنت؟!"

-"أنا منة، أنا أدرس معك فى الكلية".

-"أها، هل تريدين توقيعى أم التقاط صورة معى إذًا؟"

رفعت حاجبيها وقالت له بصوت واضح:

-"عذرًا؟"

-"ماذا تريدين؟"

نظرت إليه بدهشة وبدا عليها الغضب قليلًا ثم قالت:

-"لماذا تظن أننى قد أريد توقيعك أو التقاط صورة معك؟"

أجابها بكل ثبات:

-«أنا ممثل، الناس يطلبون منى هذا طوال الوقت، إذا كنت لا تودين أى منهما، ماذا تريدين منى؟»

فهمت الموقف وبدا أنها وضعت نفسها فى موقف محرج فقالت فى محاولة لإنقاذ نفسها:

-«أنا أعتذر، لم أعلم أنك ممثل، أنا أجلس بجانبك فى اللجنة، ورأيتك أول أمس تترك الورقة وخرجت بسرعة».

حاول أن يوفر عليها الكلام فقاطعها وأكمل هو:

-«أجل، كنت مريضًا».

فرفعت حاجبيها دهشة وقالت:

-«حقًا؟ من ماذا تعانى؟»

نظر بعيدًا فى محاولة أن يخلق مرضًا ليقوله لكنه فشل، فنظر إليها مرة أخرى وقال:

-«لا أدرى، لكننى بخير الآن، شكرًا على أى حال».

استدركت كلامه وقالت:

-«أعتقد أنك ما زلت مريضًا، وإلا ما كنت لتتغيب عن الامتحان اليوم».

نظر إليها فى استنكار مصطنع وقال:

-"هل كان هناك امتحان اليوم؟ لم أعلم هذا!"

-"بل يبدو عليك أنك تعلم، ويبدو عليك أنك مريض أيضًا".

حركت نظرها من أعلاه لأسفله ثم تحركت وهى تقول:

-"لقد كنت فقط أريد الاطمئنان عليك، فأنا أعلم هذا المرض اللعين، كل من يصاب بالمرام ينتهى به الأمر نهاية سيئة إذا لم ينقذ نفسه".

نظر إليها وبانت على ملامحه الصدمة قليلًا ثم قال:

-"كيف تعرفين هذا؟ هل، هل، هل قرأتِ الورق؟!"

كان يتأتأ فى كلامه لأنه كان متوترًا ولاحظت منة ذلك فحاولت أن تخفف توتره وقالت:

-"اهدأ، لقد رأيتك تبكى وأنت تخرج من اللجنة، فظننت أن الامتحان صعب عليك وليس إلا، لكن عندما قرأ المراقب ما كتبته وحاول أن يلحق بك ظننت أن هناك خطبًا ما بك، فقرأت ورقتك، ومن وقتها وأنا أريد أن أعرف ماذا بك فقط".

-"إذن أنت قرأت الورق، والمراقب قرأ الورق، هل هناك أحد آخر قرأ الورقة اللعينة؟"

ارتفع صوته قليلًا، فخافت منة وتراجعت خطوتين وقالت بصوت منخفض:

-"لا، نحن الاثنان فقط، أنا آسفة، أردت فقط المساعدة والاطمئنان عليك!"

ارتفع صوته قليلًا بعد وقال وهو يلوح بيده فى وجهها:

-"لا أحتاج مساعدتك اللعينة، أنا بخير!!"

بدأت عيناها فى البكاء قليلًا وقالت:

-"أنا آسفة!"

فصرخ فيها مرة أخرى:

-"اغربى عن وجهى!!"

وعاد بنظره إلى الماء وصمت وتنفس بعمق ليحاول أن يهدأ، بينما تحركت منة بسرعة من خلفه لاعنة اليوم الذى قررت فيه أن تقرأ الورق وأن تحاول مساعدته.

الفصل الرابع

«أعتقد أن العالم يتوقف عند شخص ما، وأعتقد أن عالمى توقف بعد رحيلك يا مرام، كيف لا يتوقف وأنت عالمى، على مدار سنتين كنا نتحدث كل يوم وفى كل الأوقات، منذ أستيقظ وإلى أن أنام، ثم أستيقظ مجددًا وأول شىء أفعله هو أن أتصل بك لأسمع صوتك، الصوت الذى كان يعطينى القوة لمواجهة العالم والمحاولة بقوة لكى أكون معك فى يومٍ ما، أعلم أننى قد أُخطئ أحيانًا، قد أرتكب حماقات سخيفة تجعلك تودين لكمى فى أنفى، ولكن فى نهاية الأمر أنا أحبك وسأبقى أحبك إلى أن ينتهى عمرى، لقد قلت لى ذلك من قبل، أين ذهب كلامك هذا؟ هل توقفت عن حبى بكل بساطة؟ ماذا حدث؟ ماذا فعلت لأجعلك تتوقفين؟ أرجو أن يكون هذا كله مجرد شجار أو حزن طويل ونعود بعدها كما كنا، أنا على استعداد أن أسامحك على ما قلتِه تلك الليلة، وإن كنت لا ترين نفسك مخطئة فصدقينى سأراك كما ترين نفسك،

سأتحمل كل شيء، فقط عودى".

كتب هذا وتساقطت دموعه على الورق الذى كتب عليه لتعطى الخطاب لمحة عن حال كاتبه، أدخله داخل ظرف بريد وكتب العنوان عليه وأرسله إلى:"مرام السيد على".

وفى اليوم التالى وفى الصباح الباكر دق جرس منزل حسام فاستيقظ وذهب ليفتح الباب.

-"أستاذ حسام؟"

-"أجل".

خاب أمله قليلًا فلم يتوقع أن يكون الطارق هو ساعى البريد.

-"الخطاب الذى أرسلته إلى مرام السيد على لن يتم استقباله".

-"عذرًا؟ كيف هذا؟"

-"لا أحد يسكن هناك، سألت الجيران وقالوا أنهم رحلوا منذ يومين".

-"إلى أين؟"

-"لا أعلم، أنا مجرد ساعى بريد، تفضل خطابك".

-"شكرًا".

أخذ منه الخطاب وهم بغلق الباب ولكن ساعى البريد عاجله:

-"سيدى، ليس على ساعى البريد أن يسأل الجيران إذا لم يجد سكان

المنزل».

-«ماذا تريد؟!»

-«عشرة جنيهات».

-«حقًا، أغرب عن وجهى الآن!»

ثم أغلق الباب فى وجهه بقوة، وسمع الرجل يسبه من الخارج لكنه لم يعره بالًا، أخذ يفكر إلى أين ذهبت مرام، هل انفصلت عنه لأنها سترحل عن البلاد ولم تكن تريده أن يتعذب فى تلك العلاقة الصعبة أكثر من هذا، ذهب إلى غرفته وأمسك هاتفه وكتب رقمها الذى كان يحفظه عن ظهر قلب، اتصل بها وبعد ثوانٍ قليلة سمع صوتها الجميل:

-«حسام؟!»

-«أجل، آه، مرام، كيف حالك؟»

-«أنا بخير، ماذا تريد؟»

-«لقد اشتقت إليك وأردت سماع صوتك».

-«حسام توقف، لا يمكنك الاتصال بى بعد الآن!»

-«انتظرى، لا تنهى المكالمة أرجوكِ!»

-«ماذا؟»

-«لقد كتبت لك خطابًا، أرسلته إلى عنوانك لكن ساعى البريد عاد به

إلىّ وقال إنك رحلتِ!»

–«أجل، لقد انتقلت وذهبت لأعيش فى منطقة أخرى».

–«هل هى خارج البلاد؟»

–«لا، ما الذى جعلك تظن هذا؟»

–«لا شىء، فقط أيمكننى أن أحصل على عنوانك الجديد لأرسل إليك الخطاب؟»

–«فى الواقع لا، لا يمكنك أن تحصل على عنوانى الجديد، ولا أن تتصل بى بعد الآن».

–«ألا تريدين معرفة ما فى الخطاب؟»

–«حتى وإن أردت، أفضل ألا أعرف الآن، حسام، هذه فترة صعبة عليك، أنا أعلم هذا، لكن أرجوك، عليك أن تتخطى الأمر، تخطاه، لقد قلت لك إننى لست نهاية العالم».

–«أترين؟ لو عرفت ما فى الخطاب ستعرفين أنك نهاية العالم بالنسبة لى!»

سكتت مرام قليلًا ولم ترد على جملته الأخيرة، بدأ صوت حسام فى الوهن عندما قال:

–«مرام، أنا، أنا، أحـ...»

-"حسام، أنا آسفة، يجب أن أنهى المكالمة الآن".

وسمع حسام بعدها صوت الصافرة المزعجة التى تعنى أن المكالمة انتهت، أخذت عيناه تدمع قليلًا لكنه سرعان ما غضب ورمى هاتفه تجاه الحائط فتكسر، وأمسك الخطاب وقطعه إلى قطع صغيرة، وهو يقول كلمات عديدة لا يستطيع أحد فهمها، لكن من المؤكد أن أى شخص كان سيلاحظ هذه الكلمات:

-"حسنًا، إنها النهاية".

الفصل الخامس

مرام هى فتاة لطيفة وجميلة وطيبة القلب فى سنتها الثانوية الأخيرة، ملامحها تأسر قلبك قبل أن تأسر عقلك، فتتذكرها مرارًا وتكرارًا طوال يومك دون أن تمل من هذا، هذه الفتاة القمحية البيضاء متوسطة الطول ذات القوام المثالى والعينين الرماديتين أسرت حسام منذ النظرة الأولى فى عينيها وتيمته بها، وأصبح كالمجنون بها إذا ابتعد عنها. أنهت مرام المكالمة ووضعت الهاتف فى حقيبتها ونظرت إلى ذلك الفتى القادم تجاهها وابتسمت فابتسم لها هو الآخر وقال:

-«لقد كنت تتحدثين فى الهاتف، من كنت تحدثين؟»

-«ليست مكالمة مهمة، لا تشغل بالك بها، هل أحضرت التذاكر؟»

-«أجل، الفيلم سيبدأ بعد ربع ساعة وسيفتحون الأبواب فى أى لحظة الآن».

-«رائع».

بدا عليها الحزن حتى وإن كانت ترسم ابتسامة مصطنعة وسط الكلام فقال لها:

-"ماذا بك؟"

نظرت فى عينيه وتمنت لو تخبره لكنها تعلم كم يغضب إذا جاءت على سيرة حسام:

-"لا شىء، إنها صديقتى، لديها مشاكل مع حبيبها وأنا أخبرتها إننى سألقاها فى المساء بعد أن ننهى الفيلم و..."

-"لقد فتحوا الباب، هيا بنا، على أى حال لا تحزنى بسببها، على الأرجح إنها بخير، حسنًا؟"

-"حسنًا".

عم الصمت المكان عندما بدأ الفيلم ولكن الكلام علا صوته داخل رأس مرام، كانت تفكر فى مكالمتها لحسام وكم ظلمته عندما رحلت وتركته، سمعت صوت يأتى من أعماق رأسها يقول:

-"أنت جبانة".

فردت عليه:

-"لا لست كذلك".

-"بلى، لقد اخترتِ الطريق الأقصر والأضمن وتركتِ حب عمرك، لم

تتركيه فقط بل حطمتِ قلبه!»

-«لا، أنا أحب محمد، لا حسام».

-«هذا هراء وأنت تعلمين هذا».

-«لا، حسام دائمًا يحاول أن يصل إلى قمة مجده الخاص، لا يفكر فى مستواه التعليمى ولكن يفكر فقط فى التمثيل، وإن كان سيصبح يومًا كعادل إمام أو أحمد زكى».

-«ألم تعتادى أن تحبى هذا؟ ألم تدعى ذلك شغفًا وأحببتِه من قبل؟ لماذا الآن تعتبرينه عيبًا؟»

-«لأنه كذلك، لم أر ذلك من قبل».

-«بلى رأيته، واخترتِ إنه ليس بعيب، لقد قلت بنفسك إنك تحبين شغفه هذا، وتحبين أنه يسعى ليصل لما يحبه، وقلت إنه إذا أحبك بنفس القدر وكان شغوفًا بك هكذا ستكونين أسعد إنسان على وجه الأرض ربما».

-«لا لم أقـ...»

-«لما تكذبين؟! توقفى عن هذا الهراء، تعرفين أنه يحبك وأنه شغوف بك، وتعرفين أنك تحبينه أيضًا، لماذا أنت جالسة الآن بجانب هذا الأحمق؟»

-"محمد ليس أحمق، إنه على وشك أن يتخرج فى كلية الهندسة ويعمل كمهندس فى شركة والده فى دبى".

-"يا إلهى! توقفى الآن، أترين أنت تأخذين الطريق السهل، تركت حسام لأنه فى بداية الطريق وأنت تعلمين أنك إن ظللت بجانبه سيصل إلى نهايته حتمًا، واخترت ابن عمك الأحمق لأن طريقه سهل، ولأنه غنى الآن ولن تضطرى إلى الانتظار بضع سنوات حتى يملك المال الكافى ليتزوجك وليعالجك".

-"أجل، ولأننى أحبه، أنا أحبه، اصمتى، اصمتى، اصمتى!!"

علا صوتها عندما قالت جملتها الأخيرة وسمعها محمد الذى جلس بجانبها، فالتفت إليها وقال:

-"هل أنت بخير؟"

توقف الفيلم بسبب الاستراحة فقالت له:

-"أنا بخير، فقط أحتاج أن أذهب إلى الحمام".

-"حسنًا".

ذهبت إلى الحمام ونظرت إلى نفسها فى المرآة وتنفست بعمق، غسلت وجهها بماء بارد فى محاولة لتهدئة أعصابها ثم تحدثت إلى نفسها بصوت مرتفع هذه المرة:

-"حسنًا، نهاية الأمر، أنا أحب محمد، أما حسام فلقد انتهى أمره، لن أفكر فيه مرة أخرى، هذه النهاية".

تنفست بعمق مرة أخرى وخرجت لتعود إلى القاعة، ثم لاحظت أنها ذات القاعة التى قابلت فيها حسام فى أول موعد لهما، وأن المقعدين الذين يجلسان عليهما هى ومحمد الآن هما نفس المقعدين فى أول موعد، فما كان منها إلا أن قالت:

-"اللعنة!"

الفصل السادس

فتحت منة عينيها ووجدت حسام بجانبها يمسك سلاحًا آليًا ويطلق النار على الناس ويصرخ بكل غضب، ونظرت فى يدها ووجدت مسدس ملقم وجاهز لإطلاق النار فقالت:

–«يا إلهى! ما هذا؟!»

–«فقط أطلقى النار على هؤلاء الملاعين».

–«لا لن أفعل هذا! توقف إنهم يموتون، أنت تقتلهم!»

–«هذا جيد».

نظرت له واتسعت عيناها وصرخت فى وجهه:

–«توقف عن هذا!!»

خفض حسام سلاحه وفرد جسده ونظر فى عينيها واقترب منها وقال:

–«أنا غاضب كثيرًا، أكثر مما تظنين، هؤلاء الملاعين يحاولون قتلنا، حرى بنا أن نقتلهم قبل أن يفعلوا هذا!»

وسحب قنبلة يدوية من حزامه، ثم سحب زنادها وألقاها على مجموعة من البشر كانوا يتسللون خلفها فانفجرت وقتلتهم، نظرت له منة بغضب وقالت:

-«لماذا؟!»

بدأ بالسير للأمام وبدأت بالسير خلفه عندما قال:

-«لماذا ماذا؟»

-«لماذا أنت غاضب كثيرًا هكذا؟»

-«لأن العالم ليس بمكان لنعيش فيه، البشر جميعهم حثالة ربما علينا أن نقتلهم جميعًا».

-«لا، هذا خطأ، توقف عن هذا، هناك أشخاص طيبون فى هذا العالم، مثلى، ومثلك، إذا تغيرت نظرتك للناس قليلًا».

-«لا أظن هذا».

وفى هذه اللحظة رأت منة ظل يتسلل من بعيد ويصوب على حسام، فما كان منها إلا أن صوبت مسدسها عليه وأطلقت النار ثم صرخت بشدة:

-«يا إلهى! يا إلهى!!»

نظر حسام إليها ثم وجه بصره إلى حيث وقع الظل على الأرض واقترب منه فوجده شخص يعرفه فجن جنونه وأطلق النار فيها بعنف وهو

يصرخ:

-"أيتها اللعينة**!** موتى واذهبى إلى الجحيم**!!**"

نظرت منة إليه وصرخت بكامل صوتها وهى تضع يديها على أذنيها وتغلق عينيها بكل قوتها:

-"توقف، توقف، توقف".

فتحت عينيها ووجدت سقف غرفتها كما تركته الليلة السابقة، ووجدت أختها بجانبها تقول لها:

-"منة، عزيزتى، هل أنت بخير؟"

نظرت حولها فوجدت أنها كانت تحلم، بالطبع تحلم، أى واقع هذا الذى ستمسك فيه مسدسًا وتطلق النار على أحد، نظرت إلى أختها وقالت:

-"أنا بخير، إنه فقط حلم مزعج، ما هى الساعة الآن؟"

-"إنها السابعة صباحًا، قومى ستتأخرين على امتحانك".

-"معك حق، ينبغى أن أنهض الآن".

نهضت وأخذت تجهز وهى تفكر فى حلمها المزعج، وهل هناك جزء منه حقيقى، لماذا قد يكون حسام غاضبًا كثيرًا هكذا، حاولت أن تركز قليلًا فى تذكر بعض المعلومات قبل امتحانها لكنها لم تستطع، وصلت إلى الكلية ودخلت إلى لجنتها وجلست ودقائق ووجدت حسام

يجلس بجانبها، نظرت له بغضب فى البداية لأنها تذكرت كيف صرخ بوجهها منذ أيام ومن ثم نظرت أمامها وبدأت فى الحل، أنهت امتحانها سريعًا ونظرت إليه ووجدته يكتب هو الآخر، كانت تفكر هل يكتب خطابًا آخر أم يحل امتحانه، سلمت ورقتها للمراقب وخرجت من اللجنة وتمشت فى الرواق قليلًا حتى سمعت صوت شخص يركض، فنظرت خلفها ووجدت حسام يحاول اللحاق بها، نظرت أمامها مرة أخرى وحاولت أن تسرع خطوتها، لكنه قد لحق بها على أى حال فأوقفها وقال لها:

-"عذرًا، أنا آسف لأننى أوقفتك رغمًا عنك".

ابتسمت ابتسامة سمجة وانتظرت أن يكمل حديثه فتابع:

-"كنت أريد فقط أن أتحدث معك قليلًا، هل لديك بعض الوقت؟"

نظرت إلى ساعتها بتلقائية شديدة ثم نظرت إليه مرة أخرى وقالت:

-"يا للأسف لا، أريد أن أقول لك اغرب عن وجهى الآن، لكننى اعتدت ألا أصرخ فى وجه شخص ما لا أعرفه".

رأى إلى أين كانت تلمح بحديثها فقال:

-"انتظرى، أنا حقًا آسف، أريد أن أعتذر فحسب، هل تحبين القهوة؟"

نظرت له وأعادت التفكير ثم قالت:

–"لا، لكننى أحب الشاى".

–"عظيم، أنا كذلك، فقط اعتقدت أنك قد تحبين القهوة".

ابتسمت ابتسامة صغيرة وسارا معًا حتى وصلا إلى مقهى الكلية، ثم جلسا وبدأ هو فى كلامه:

–"فى الحقيقة أتيت إلى هنا اليوم فقط لأعتذر، ذاكرت قليلًا ولا أعلم إن كان ما كتبته كافى لأنجح أم لا، لكنك السبب الأساسى فى وجودى هنا الآن".

توقف عن الحديث قليلًا ثم نظر فى عينيها وتنفس بعمق وقال:

–"أحيانًا أصبح غاضبًا كثيرًا، قد أتحكم فى غضبى هذا فى كثير من الأوقات، ولكن عندما يكثر الضغط العصبى على ينهار الجهاز بأكمله".

أنهى جملته وابتسم كمن قال مزحة لم يفهمها أحد ثم تابع حديثه:

–"عندما قابلتك على الجسر ذلك اليوم، كنت حزينًا جدًا، وكنت أفكر فى كثير من الأشياء التى تضعنى تحت ضغط عصبى شديد، لذلك عندما قلتِ لى أنك قرأت ما فى الورقة واكتشفتِ أننى أكذب حينها غضبت كثيرًا ولم أستطع أن أكمل الحديث معك، لم أكن أريد أن أقول أى شىء، لذلك صرخت فى وجهك أن ترحلى، أنا أعلم إن هذا غير لائق

بالمرة، وأعلم أننى أحرجتك، لكننى حقًا آسف، أنا مستعد لفعل أى شىء لتعويضك عن هذا حقًا».

نظرت إليه وابتسمت وقالت:

-«لا عليك، لقد تخطيت الأمر، أقدر بشدة أنك اعتذرت، فشكرًا لك».

-«شكرًا لك لأنك سامحتنى».

-«سأرحل الآن».

-«لكنك لم تحتسى الشاى، لم نطلبه من الأساس!»

-«ربما المرة القادمة، أراك الامتحان القادم».

لوحت له بيدها وهى ترحل فلوح لها أيضًا وابتسم فى قرارة نفسه.

الفصل السابع

"عزيزتى مرام، لم يمر الكثير منذ أن هجرتِنى، لا أعرف المدة ولا أهتم، كل الأيام أصبحت متشابهة كثيرًا، لا أعرف النوم إلا قليلًا، وأصبحت مدمنًا للكافيين والسموم البطيئة الأخرى، أخاف للغاية أن أدمن شيئًا ما غيرهم، فعندما أدمنتك انتهى الأمر بنهاية سوداء قاحلة، كسرت قلبى وليس لدى أغلى منه، فى بدايتنا عندما أحببتك كنت كاملًا، لا أخاف من شىء، أعلم أن مهما يحدث ستبقين معى، إن نجحت وأصبحت أكثر الناس حظًا فتشاركيننى هذا، وإن فشلت ولم يبتسم لى القدر ولو لمرة، فستكونين معى، تهمسين فى أذنى إنك بجانبى ولن تتركيننى أبدًا، ظننت أننا سنجتاز كل الطرق معًا، ظننت أننا أقوى من أى شىء يا مرام، لكن يبدو أننا لم نكن أقوياء بما فيه الكفاية لنجتاز ضعفك وخوفك، ولا تلومينى، فلقد حاولت أن أطمئنك، حاولت أن أثبت لك أننى بجانبك وللنهاية، لكنك اطمئننت

فى حضرة رجل غيرى، أنت تعلمين كم أحبك يا مرام، لكن هذا لم يكن كافيًا أبدًا!"

كتب حسام خطابه هذا وقرأه على نفسه بصوتٍ عالٍ، وعندما أنهاه قطعه إلى قطع صغيرة ورماه فى النهر ونظر إلى الورق يتطاير فى المسافة بين الجسر والماء ثم نظر بجانبه فوجدها واقفة تشاهده.

-"منذ متى وأنت هنا؟"

-"منذ بدأت تقطع هذه الورقة التى تسبح أشلائها فى الماء الآن".

نظر إلى الماء ثم إليها وابتسم وقال:

-"حسنًا أعترف أننى لا أجيد المحافظة على نظافة البيئة يا منة".

ضحكت وقالت له:

-"هل تأتى إلى هنا كثيرًا، تقريبًا نصف عدد المرات التى رأيتك فيها كانت هنا على هذا الجسر؟"

-"أتقصدين بعدد المرات هذه أربع مرات؟ أجل أنا آتى إلى هنا كثيرًا، المكان هنا مرتبط بذكرياتى نوعًا ما".

-"إنه مكان لطيف، أحب أن أتمشى فى الجوار هنا، أترى ذلك المقهى هناك؟"

وأشارت بيدها إلى مقهى عند نهاية الجسر.

-"نعم أراه".

-"هذا المكان الأفضل للجلوس هنا، أنا متجهة إليه الآن".

-"حقًا؟"

-"أجل، كنت أنوى أن أذاكر للامتحان القادم، لكننى مللت سريعًا، هذه المادة صغيرة وبسيطة، وكررتها حتى حفظتها كاسمى".

-"هذا رائع، أنا لا أعرف اسم المادة فى الحقيقة، لكنه شىء رائع، هل تودين احتساء الشاى معى هناك؟"

-"سيكون ذلك جميلًا".

تحركا تجاه المقهى وهما يتحدثان عن جمال السماء فى هذا الوقت، وكيف أن الشمس تبدو رائعة عند غروبها فوق النيل، وعندما وصلا اختارت منة طاولة واتجهت إليها، سحب لها حسام المقعد لتجلس، فابتسمت له ورفعت حاجبيها فى إعجاب شديد من تلك الحركة، وعندما جلس حسام ونظرا لبعضهما البعض بدأت منة الحديث:

-"إذن قلت لى إنك ممثل، صحيح؟"

-"أجل، فى الحقيقة ما زلت ممثلًا مغمورًا، لكننى أحاول أن أنجح، وها أنا فى بداية طريق النجاح".

-"هل مثلت فى شىء قد أعرفه؟"

-«هناك مسلسل يذاع منذ شهر، وهناك الكثير من الفتيات مهووسات به، كنت أظن أنك منهم فى البداية».

-«فى الحقيقة أنا لا أتابع المسلسلات بهذا الشغف، فقط أشاهدها فى وقت فراغى».

-«هذا جيد، أنا فى الحقيقة وقت فراغى أستخدمه لأدرس، حيث أن وظيفتى هى مشاهدة المسلسلات والأفلام، وحفظ سطورى فى المسلسل والتنقل بين المكاتب لأرى إذا حصل لى أى شخص على دور فى عمل جديد، فى الحقيقة هذا الأمر صعب للغاية».

-«يبدو كذلك حقًا، لكن طالما تحب ما تفعله سيكون ذلك بسيطًا بالنسبة لك».

ابتسم ونظر إليها لثوانٍ ثم همس لنفسه:

-«لم يكن الحب كافيًا أبدًا».

الفصل الثامن

رن الهاتف وقطع صوته سكون الليل فى منزل حسام، فرفع حسام السماعة وأجاب:

-"حسام مهدى، من معى؟"

-"حسام، إنها أنا".

ميز حسام هذا الصوت جيدًا، فصمت لوهلة من المفاجأة ثم أجاب:

-"مـ.. مــ.. مرام؟"

-"أجل، حسام، أريد مقابلتك حالًا!"

فزع قليلًا فاختلط فزعه مع دهشته وأجاب بفم لا تريد أن تخرج منه الكلمات:

-"هل، هل أنت بخير؟"

-"لا، لا لست بخير، أريد رؤيتك الآن، أحتاجك، أريد أن أخبرك بشىءٍ ما".

-"حسنًا، أنلتقى فى مكاننا؟ عند النهر؟"

-"حسنًا، أنا هناك بالفعل، أرجوك لا تتأخر".

-"سأكون أمامك فى الحال".

أغلق الهاتف وبالفعل اتجه بأقصى سرعته وكان عند النهر، لم يدر كيف وصل إلى هناك بهذه السرعة،

رأته مرام يركض فتحركت ناحيته بسرعة، بدأت فى الركض هى الأخرى حتى وصلت له وارتمت فى حضنه وبدأت تبكى وتتحدث فى نفس الوقت، لم يكن كلامها مفهومًا، وكان حسام يحاول أن يهدئ من روعها بأن يربت على كتفها ويطلب منها أن تهدأ ليستطيع أن يفهمها، وبعد دقائق هدأت وبدأت فى الحديث:

-"أنا أحبك، أنا آسفة، لقد كنت غبية، أرجوك سامحنى! سامحنى وأعدك أننى لن أتركك مرة أخرى، أنا أحبك يا حسام، سامحنى لأننى تركتك ولم أفِ بوعودى لك، سامحنى!"

-"أرجوك توقفى، أنا أحبك، أنا أهيم بك حبًا، ما حدث قد حدث، فلنكمل وكأن شيئًا لم يحدث".

-"هل حقًا ستسامحنى، بعد كل ما فعلته بك؟!"

-"مرام، تعلمين كم أحبك، لن أتخلى عنك بهذه السهولة، أبدًا".

-"كنت أعلم هذا، كنت أعلم أنك ستسامحنى، أنت طيب القلب، لم أر أحدًا فى حياتى مثلك".

-"لقد كنت آتى إلى هنا كل يوم، أقف على هذا الجسر حيث نقف الآن وأتحدث إلى النهر، أحكى له عنك، وكم أحبك، وأننى لن أتوقف عن حبك أبدًا، مهما حدث".

فتح حسام عينيه ووجد أنه فى غرفته وقد أيقظه صوت المنبه، سيتأخر عن الامتحان إذا لم ينهض فى الحال، أخذ خمس ثوانىَ إلى أن استوعب أن هذا مجرد حلم نسجه له خياله المشتاق إلى مرام مثله تمامًا، فنهض من فراشه وذهب إلى حمامه وهو يقول:

-"ألم يكفك أن تعذبينى فى واقعى بذكرياتنا؟ الآن اتجهتِ إلى أحلامى أيضًا لتزيدى واقعى سوءًا، اللعنة على هذا!"

أنهى استحمامه وحلق ذقنه لأول مرة منذ مدة، هندم ملابسه ووضع عطره وخرج من منزله واتجه إلى الكلية، أخذ يتذكر أحداث الحلم وضحك استهزاءً بنفسه لأنه ظن أنه واقع، تذكر احتضانه لمرام عندما مر من فوق الجسر، تمنى لو أن هذا كان حقيقة، لكنه للأسف لم يكن كذلك، فأخرج كتبه وأخذ يراجع إلى أن يصل إلى اللجنة.

-"هل ذاكرت جيدًا؟"

قالتها له منة بعد أن دخل إلى اللجنة مباشرة، فجلس بجانبها وابتسم وقال:

-"سنرى".

ابتسمت له وحينها وضع المراقب ورق الامتحان أمامهما وبدآ فى الحل، وبعد الامتحان، خرجا معًا فى نهاية الوقت تمامًا، وسارا معًا إلى خارج الكلية وبدأ حسام حديثه:

-"أتودين احتساء الشاى فى المقهى بجوار النهر؟"

-"حسنًا، أظن أننى متفرغة الآن".

-"آه، أجل، لقد انتهت الامتحانات وبدأت العطلة، هل لديك أى خطط؟"

-"فى الحقيقة لا، فقط النوم، النوم، والمزيد المزيد من النوم، ماذا عنك؟"

-"حسنًا، كنت أفكر فى الشاى والشاى والمزيد المزيد من الشاى معك!"

اندهشت منة قليلًا وابتسمت ونظرت له وقالت:

-"يبدو أن شخص ما معجب بالـ..."

ثم تنحنحت قليلًا وأكملت:

-"الشاى".

ابتسم كذلك، فقد عرف أين ذهب تفكيرها بالتحديد، فقال:

-"إذن ما رأيك؟"

-"حسنًا، لكن هل لا بد أن نشرب الشاى فقط؟ ألا يمكننا أن نجرب وعلى سبيل المثال، الجوافة بالحليب؟"

ضحكا ثم كانا قد وصلا إلى المقهى، فدخلت منة ودخل حسام خلفها، أجلسها كما فعل المرة السابقة بسحب المقعد إلى الوراء قليلًا، ثم جلس أمامها، وقال:

-"هناك فيلم يُعرض هذه الأيام فى السينما، يتحدث عن صحفى لديه معلومات قد تؤذى رجال مهمين فى الدولة وهم يحاولون قتله وهو يهرب منهم، أتودين دخوله؟"

-"يبدو شيقًا، حسنًا ربما فى المساء، فأنا فى حاجة ماسة إلى النوم لأننى لم أنم جيدًا أمس".

-"أنا كذلك".

-"هل كنت تدرس؟"

-"أجل، قليلًا ولكن راودنى حلم ما أزعجنى هذا الصباح".

-"هل تريد التحدث عنه؟"

–«لا، لا، ليس أمرًا مهمًا، هل كنت تدرسين أمس أم كابوس مزعج أيضًا؟»

–«لا فى الحقيقة كنت أدرس، لم تراودنى الكوابيس من مدة».

تذكرت ذلك الحلم الغريب الذى حلمته وكان حسام موجودًا فيه، فحولت نظرها عن حسام وقالت محاولة تغيير موضوع الحديث:

–«إذن، هل تحب السينما فقط أم المسلسلات كذلك؟»

–«فى الحقيقة كلاهما، ماذا عنك؟»

–«أحب السينما أكثر فى الحقيقة».

–«لدى بعض المسلسلات التى قد تثير اهتمامك، سأحضرها لك فى المساء».

–«لست من هواة المسلسلات، لن أستطيع متابعتهم».

–«حسنًا، سأحضر لك مسلسلى المفضل فقط، يتحدث عن ستة أشخاص تربطهم علاقة صداقة قوية ومن نوع خاص، ستحبينه كثيرًا، لقد أفادنى فى حياتى وساعدنى فى الكثير من المواقف، ستشعرين بعد مرور بعض الحلقات أنك صديقتهم السابعة، كلنا شعرنا بهذا».

ابتسمت له وأعجبت بحديثه وإصراره على هذا المسلسل بهذه الدرجة، قالت له:

-"تلمع عيناك شغفًا يا فتى، تمهل قليلًا".
ضحك وقال لها:
-"أعتذر، لكن أحيانًا الحماس يسرقنى من الواقع عندما أتحدث عن هذا المسلسل، أو عندما أشاهد مباراة كرة قدم".
-"لا عليك، فى الحقيقة إن لم تتحدث بهذا الشغف والحماس لم أكن سأوافق أن أشاهد المسلسل، أحضره معك الليلة إذا استطعت".
-"سأفعل بالتأكيد، إذن هل سأمر على منزلك لآخذك الليلة أم ستعطينى رقم هاتفك وأتصل بك لأقابلك فى مكان ما؟"
-"لا أريدك أن تتعب نفسك وتأتى إلى منزلى، ثم إننا جالسان معًا الآن، لنتفق الآن".
ضحك وقال:
-"حسنًا، لنتفق".
ابتسمت ولمعت عيناها قليلًا وقالت:
-"إذا كنت تريد رقم هاتفى فقط اطلبه، لا تتخذ حججًا تافهة".
ضحك مرة أخرى وقال:
-"حسنًا، أريد رقم هاتفك، سأكون متفرغًا كثيرًا فى الأيام التالية كعادتى، وقد أرغب فى التحدث معك فى كثير من الأوقات".

-"معى أنا فقط؟"

-"حسنًا، ليس لدى الكثير من الأصدقاء، وأنت الوحيدة التى أجد الحديث معها ممتعًا الآن".

-"فى الحقيقة، هذا جيد، لكننى لن أستطيع أن أتحدث معك دائمًا".

-"لماذا؟"

-"تريد استخدام تطبيقات المحادثة، أليس كذلك؟"

-"أجل".

-"ليس عندى حساب عليها، ولا أرغب فى أن أملك حسابًا".

اندهش كثيرًا وقال:

-"حقًا، لماذا؟"

-"إنها تضيع الكثير من الوقت، يمكننى أن أستغل هذا الوقت فى قراءة الكتب أو مشاهدة الأفلام أو التنزه، ثم إننى أحب الطريقة الكلاسيكية للأمور".

-"الطريقة الكلاسيكية!"

-"أجل، أعنى إذا أردت أن أشاهد فيلم، أنا أذهب إلى السينما، أشترى الفشار وعبوة من المشروبات الغازية وأشاهده فى سعادة غامرة، لا أشاهده أمام التلفاز أو أمام شاشة الكمبيوتر مثلًا".

-"حسنًا وما علاقة هذا بالمحادثة وتطبيقات المحادثة؟"
نظرت له محاولة أن تشرح مرة أخرى:
-"حسنًا، سأقول لك مثالًا آخر، إذا أردت أن أقرأ رواية أو كتاب فأنا أستخدم الكتب الحقيقية، ذات الورق الحقيقى، لا الهاتف أو الكمبيوتر والقراءة الإلكترونية". وملفات ال
-"حسنًا، أعتقد أننى فهمت، أنت تكرهين التكنولوجيا الحديثة".
-"نوعًا ما".
-"إذن، إذا أردت أن أتحدث معك فعلى أن أكتب لك على سبيل المثال، جوابًا؟ وأغلقه بالشمع وأغرس خاتمى فيه؟"
ضحكت وقالت:
-"لا، لا أقصد هذا بالطبع، سيكون لطيفًا، لكن ليس عليك فعل هذا، مجرد خطاب عادى بالبريد السريع سيفى بالغرض".
ضحك ونظر إليها مليًا وقال:
-"يبدو ذلك جميلًا، إذن أنت لا تملكين هاتفًا؟"
-"أملك بالطبع، لكننى أستخدمه فى الحالات الطارئة فقط، لا للحديث أو التحديق طيلة اليوم فى شاشته".
-"أحببت هذا! الطريقة الكلاسيكية تربح".

-"بالطبع".

ضحكا قليلًا وقام حسام ليدفع ثمن ما طلباه وعندما خرجا من المقهى قالت منة:

-"أعتقد أننى سأذهب الآن، أراك الليلة".

-"حسنًا إذن، سنتقابل أمام هذا المقهى وسنمشى إلى السينما، إنها قريبة من هنا".

-"حسنًا، إلى اللقاء".

-"إلى اللقاء".

استدارا وكلٌ مشى فى طريقه وبعد ثوانٍ استدار حسام وبدأ فى تتبعها، حرص على ألا تراه واختبأ كثيرًا حتى وصلت منة إلى منزلها، إنه منزل كبير بحديقة ويبدو لطيفًا للغاية، كالبيوت الكلاسيكية تمامًا، حفظ العنوان فى عقله جيدًا وتذكر شكل المنزل من الخارج وليتأكد منه نظر إلى صندوق البريد الذى حفر عليه اسم والدها بخط خفيف من ناحية اليمين، قال لنفسه:

-"حسنًا، هذا منزلها، هذا اسم والدها، هذا صندوق بريدها، إنه صندوق البريد السابع".

الفصل التاسع

فى الخامسة من مساء ذلك اليوم كانت الشمس تغرب تمامًا فوق النيل، كان منظر السماء بديعًا، زينتها الغيوم الوردية وبعض النجوم التى ظهرت مبكرة، وكذلك تلك النجمة الجميلة التى ظهرت أمام المقهى، كانت ترتدى فستانًا فضفاضًا أزرق، لم يكن فستان سهر أو مناسبات، كان فستان عاديًا للغاية، لكن بعض الملابس صُنعت ليرتديها شخص واحد فقط وتبدو عليه أجمل مما تبدو على بقية البشر، فغر حسام فاه وتوقف الكلام عن الخروج من فمه قليلًا لكنه جمع حروفه وقال:

-"لم أكن أعرف أنه يجب علينا أن نتأنق ونبدو فى أفضل حالاتنا الليلة، يا الله! تبدين مذهلة".

احمر وجهها خجلًا ولكنها ابتسمت وقالت:

-"أنت كذلك تبدو وسيمًا".

-"حقًا! أنا لا زلت أرتدى ملابسى منذ الصباح".

-«إذن أنت ما زلت تبدو وسيمًا».

ابتسم فابتسمت له وسارا إلى السينما التى كانت بالفعل قريبة من المقهى، لم يكن الحديث كثيرًا الليلة، فطوال الطريق كانا يراقبان السماء والغروب على طول النهر، كان المنظر جميلًا كما قلت من قبل، لكن هذه اللوحة الرائعة كانت تنقصها خطوات هذين الاثنين معًا.

أنهيا الفيلم، استمتعا بالفشار والمشروبات الغازية كما هى الطريقة الكلاسيكية لمشاهدة فيلم ما، خرجا وسارا معًا إلى المقهى مرة أخرى، قال حسام:

-«أتريدين دخول المقهى أم تريدين الوقوف أمام النهر والحديث؟»

-«حسنًا، أنا أحب المقهى لكن الطقس جميل الليلة، لذا أختار النهر».

سارا على الجسر ووقفا فى المنتصف تمامًا، قالت منة:

-«لماذا تحب الوقوف هنا كثيرًا؟»

-«هنا؟!»

-«أجل، تحب الوقوف على هذا الجسر بالتحديد، هناك الكثير من الجسور فوق النيل، لكن لماذا هذا بالتحديد؟»

-«فى الحقيقة...»

تلعثم فى الكلام قليلًا، لم يكن يدرى أيحكى لها عن مرام فى هذه الليلة

أم لا، نظر لها فى عينيها بعد أن كان يحاول الهروب وقال:

-"أتذكرين مرام؟ الفتاة التى كتبت عنها فى الامتحان؟"

-"أجل، هل هذا هو المكان حيث رأيتها أول مرة؟"

-"فى الحقيقة لا، لقد قابلتها أول مرة فى مكان غير هذا، لكن هذا هو المكان حيث اعتدنا أن نلتقى".

-"هذا الجسر؟"

-"أجل، فى المنتصف تمامًا، حيث نقف الآن".

نظرت منة بعينيها بعيدًا وهمست لنفسها:

-"رائع".

نظرت فى عينيه وقالت:

-"إذن لماذا ما زلت تقف هنا؟ ألم ينتهى كل شىء بينكما؟"

-"أعتقد هذا، لكننى أحب هذا المكان".

-"دعنى أسأل السؤال مرة أخرى بطريقة مختلفة، لماذا جئت بى إلى هذا المكان تمامًا؟"

-"لا أعلم، فقط أحب التواجد هنا، منة ماذا بك؟"

بدأت منة فى فقدان أعصابها قليلًا، غضبت لكن لم يعلو صوتها، كانت تحرك يديها بسرعة وتتحرك متقدمة خطوة ومتراجعة خطوتين

ثم قالت:

-"حسام، أنت تستبدلنى بها، أليس كذلك؟"

-"أنا آسف، لم أفهمك؟"

-"مرام، أنت تستبدلنى بمرام، تقابلنى فى مكانكما، وتحتسى معى الشاى، وتتحدث معى كثيرًا فى كل شىء، أحيانًا تغازلنى، أنت تحاول أن ترانى مرام، أليس كذلك؟"

-"لا، أنا لا أفعل هذا، هذا يبدو جنونيًا، هذا يحدث فى الأفلام والمسلسلات فقط".

-"ويحدث فى الواقع أيضًا، أراه يحدث الآن وأنت تنكره".

-"منة لماذا تحاولين إفساد الليلة، أقسم لك أننى لا أحاول أن أراك مرام ولا أن أستبدلك بها!"

-"إذن ما هذا الذى يحدث؟"

-"ماذا؟"

-"ماذا نفعل الآن؟ أهو موعد؟ أنقضى الوقت معًا فحسب؟ لماذا أخرجتنى من المنزل؟"

-"يجب عليك أن تهدئى قليلًا!"

-"أنا آسفة، سوف أرحل".

-«انتظرى لن أدعك ترحلين هكذا!»

-«لماذا؟»

-«أنت على وشك البكاء والوقت متأخر قليلًا، سأوصلك».

-«من أنت لتفعل هذا؟»

-«منة، اهدئى!»

-«لا أريد أن أهدأ يا حسام، أريد أن أرحل».

استدارت وبدأت فى السير مبتعدة عنه، فناداها لكنها لم تجب، سار خلفها فاستدارت وأشارت له بأصبعها:

-«إياك أن تتبعنى!!»

هكذا قالت وأكملت طريقها، توقف حسام عن المشى لحظة، لكنه تابع المشى خلفها وكأنها لم تقل شىء، جرى بسرعة ووقف أمامها وقال:

-«لماذا تفعلين هذا؟ هذه الأشياء طفولية قليلًا!»

-«ابتعد عن طريقى، لا أريد أن أتحدث معك الآن».

-«منة، أحاول أن أقول شـــ...»

لم تتركه يكمل جملته ودفعته وأكملت طريقها وهى تقول:

-«لا تتبعنى، لا أريد أن أتحدث معك، أفهمت؟»

توقف حسام عن السير حتى رآها تبتعد قليلًا عنه، فبدأ يتبعها مرة أخرى، لم ينو أن يتحدث معها هذه المرة، فقط أراد أن يطمئن أنها ستصل سالمة إلى منزلها، وأخذ يفكر فى نهاية هذه الليلة.

-"كان كل شىء يسير على أفضل حال، ماذا حدث؟! أكُل هذا لأننى وقفت معها حيث اعتدت أن أقف مع مرام؟! أنا أحب هذا المكان، ثم هى التى اختارت أن نقف هنا لا أن نجلس فى المقهى، ماذا بها؟!"

بعد قليل من السير وصلت منة إلى منزلها ورآها تدخله، ذهب ووقف أمام منزلها ونظر إلى صندوق البريد ثم فكر فى شىءٍ ما.

الفصل العاشر

دخلت منة منزلها وأجهشت بالبكاء، صعدت إلى غرفتها، لم ترد على أحد من أهلها، فقط ارتمت على الفراش وبكت نفسها لدقائق طويلة، كان يجول فى خاطرها الكثير والكثير من الأفكار والتساؤلات، ظلت تفكر فيها إلى أن سألت نفسها:

-"لماذا أبكى؟ لماذا أفعل كل هذا؟ فليذهب ذلك المعتوه إلى الجحيم، لن أبكى من أجله بعد الآن، لقد ظننت أننى أعجبه حقًا، كان ذلك شعورًا رائعًا، لكن ذلك الوغد أحمق، أنا كذلك حمقاء، لماذا لم أنتبه إلى أنه يحاول أن يستبدلنى بتلك الفتاة، كيف يستطيع شخص ما أن يتخطى شخص فى هذه المدة القصيرة ويبدأ فى الإعجاب بشخص آخر، لم يكن معجبًا بى، بالطبع لا، كان يحاول أن يرانى مرام بالتأكيد".

كانت تفكر كثيرًا إلى أن غفلت فى النوم بعد مدة لا بأس بها، يبدو أن التفكير أرهقها، العجيب أن مع كل هذه الأفكار لم تحلم منة بأى

شىء، استيقظت فى الصباح سعيدة نوعًا ما، كانت قد نسيت كل أحداث الليلة الماضية، قررت ألا تتحدث مع حسام مرة أخرى. ستتوقف عن الإعجاب به أيضًا، قامت من فراشها واكتشفت أنها ما زالت ترتدى فستانها، فغيرته وارتدت ملابس المنزل، نزلت إلى الطابق السفلى حيث بقية أفراد المنزل، أختها وأمها، لحقت بأبيها وقبلته قبل أن يذهب إلى العمل وذهبت إلى صندوق البريد وفتحته لتجد ظرف بنى اللون ووردة حمراء، أمسكت الظرف فوجدته مغلقًا بالشمع الأحمر مختومًا بختمٍ ملكى من نوع ما، نظرت إلى الجانب الآخر من الجواب فوجدت مكتوبًا عليه«م»، كانت الدهشة والمفاجأة تعلو وجهها، ومع انصراف أبيها الذى لم يلاحظ الظرف الذى تمسكه ابنته، رجعت منة إلى المنزل وصعدت إلى غرفتها وفكرت هل تقرأه أم لا، هى تعلم أن هذا من حسام لا محالة، لكن كيف فعل هذا، كيف استطاع أن يصل إلى هذه النوعية من الأظرف ويختمها بهذا الشمع الفاخر فى ليلة واحدة، كيف عرف عنوان منزلها وهى لم تخبره إياه وتأكدت أمس أنه لم يتبعها، لماذا لم يكتب اسمها كاملًا على ظهر الظرف، فتحته منة وبدأت فى القراءة:

«مرحبًا وأهلًا بك داخل قلبى، لقد كان شرفًا لى أن ألقاك وشرفًا أكبر

أن تمرى على هذا الحديث بعينيك وربما بقلبك، لم أراسلك من قبل وهذه المرة الأولى لى فى المراسلة وأرجو أن أنال إعجابك، لم أشاركك كتاب، لم أشاركك الموسيقى، ولكن تحدثنا من قبل قليلًا وأرجو منك أن نبدأ فى تشارك المزيد من الأشياء فى الأيام القادمة.

عزيزتى، أنت جميلة ذات قلب كبير تحبين الطريقة الكلاسيكية فى كل شىء وابتسامتك، ابتسامتك رائعة مذهبة للعقول، وصدقينى أنا معجب كبير بها وبك وبطريقتك الكلاسيكية، أرجو أن تفهمى أن كل ما تظنينه عنى خاطئ، أنا لا أبحث عن بديل، أنا لا أقارن الأشخاص ولا أريد أن أرى شخصًا بهيئة آخر، أنا فقط أتعلق بك، وأريد فعل هذا على النحو الصحيح، علينا أن نبحث عن مكان جديد لنشاهد منه غروب الشمس على النيل، ويكون قريبًا من المقهى ذاته، سيكون ذلك مكاننا حينها، أهذا يرضيك؟ أتمنى أن تقبلى اعتذارى الكلاسيكى لإفسادى أول موعد لنا بتصرف أحمق صدر منى عن غير عمد».

أنهت منة الخطاب وقالت لنفسها:

-«إن هذا الوغد بارع فى استخدام الكلمات، يا إلهى! أعتقد أننى أحبه».

الفصل الحادي عشر

-«أظن أننى خسرت كل شىء».

كانت مرام واقفة أمام النيل تشاهده سارحة فى الماء الجارى لمنتهى بصرها وتفكر فى حياتها، أخرجت علبة سجائر من حقيبتها، هى تكره السجائر وتكره المدخنين لكنها منهم، سحبت سيجارة ووضعتها بين شفتيها وأشعلتها، وسحبت نفسًا عميقًا كتمته لثوانٍ ثم أخرجت زفيرها بعين مكسورة، هى تعلم بالفعل أنها خسرت كل شىء، فهى لا تحب محمد ابن عمها، وكذلك تعلم أن حسام توقف عن حبها، بالتأكيد توقف بعد كل ما فعلته به، تنشقت جرعة أخرى من النيكوتين وأخرجتها على مهل وقالت لنفسها:

-«سأموت وحيدة، أو لا، محمد يحبنى ولن يتركنى فى يوم كهذا، لكننى فى يوم كهذا قد أود لو أرى حسام للمرة الأخيرة، سأريده أن يكون بجانبى يمسك يدى ويقول لى إن كل شىء سيكون على ما يرام، لماذا

أفكر فى هذه اللحظة الآن، لدى حياة كاملة سأعيشها، فقط إن نجحت خطتى، أنا أريد أن أعيشها مع الشخص الصحيح وحسب، أعلم أنه حسام، لكن فى النهاية لن نستطيع أن نكون معًا بسبب فعل أحمق قمت به، أظن أنه لن يقبل بى مرة أخرى، وإن قبل، ستتغير معاملته معى بنحو يجعلنى أكره نفسى كثيرًا، أظن أننى سأكمل بقية حياتى مع محمد إذن، إن كنت لا أحبه اليوم فسأتعلم كيف أحبه غدًا، إنه طيب ووسيم ويراعينى ويهتم بى، لم أتمن أى شىء يومًا إلا وحققه لى، كل ما فى الأمر إنه ليس حسام، لن يمكنه أن يكون حسام».

سحبت الأنفاس الباقية فى سيجارتها وألقتها أسفلها، سعلت قليلًا وسارت إلى منزلها، بعد قليل من المشى وصلت إليه ودخلت ووجدت محمد وأباه يجلسان مع أبيها، ابتسمت وعانقت أباها وصافحت عمها وابنه، قال لها أبوها:

-«اجلسى يا حبيبتى، لقد جاء ابن عمك اليوم ليطلب يدك يا مرام، ما قولك؟»

نظرت له ووجدته مغمورًا بالسعادة ووجدت الفرح على وجهى عمها وأبيها، كانت الدهشة تغطى وجهها ولم تكن تدرى ماذا تقول، نظرت لأبيها واحمر وجهها ليس خجلًا ولا فرحًا بل شعرت أنها تريد أن تبكى،

قالت له:

-«لكننى ما زلت أدرس، أنا فى الثانوية».

قال لها عمها:

-«لا تقلقى يا عزيزتى، ستكملين دراستك بعد الثانوية، هذه فقط فترة الخطوبة».

نظرت لعمها ولمحمد ودمعت عيناها، حاولت أن تتمالك أعصابها قليلًا ولكن قالت فى النهاية بصوت يأبى الخروج:

-«أظن أننى لن أجد أفضل من محمد لأتزوجه».

قالتها وصعدت إلى غرفتها سريعًا دون أن تسمع أى عبارة أو جملة أخرى، قال والدها:

-«يبدو أن هذه دموع الفرحة، هى خجولة قليلًا، لكنك ستكون الزوج المثالى لها يا محمد بالفعل».

أنهى الأب عبارته وابتسم له محمد كإجابة عما قال، أما مرام فكانت فى غرفتها تبكى، كانت تحدث نفسها منذ قليل عن محمد وكيف أنه أفضل من الكثير، كانت تشعر أنها مرغمة على الزواج منه، لكن فى الحقيقة هى ليست مرغمة على الإطلاق، لو قالت لأبيها أنها لا تحب محمد ولا تريد أن تتزوجه فلن يتم الزواج، لكنها حينها ستضيع الزوج المثالى

وشخص يحبها كثيرًا، شخص يملك ما يكفى من المال لعلاجها، كانت تريد حسام أن يكون فى صالونها الآن يطلب يدها من أبيها، لكن هذا مستحيل نظرًا لظروفه فى الوقت الحالى، كان الوضع سيئًا، لم تكن تدرى ماذا تفعل، كل شىء فسد فى اللحظة التى اعترف فيها محمد بحبه لها وأخبرها أن تتخلى عن حسام لأجله وأقنعها بذلك، كيف سمحت لنفسها أن تنقاد وراء تلك الفكرة الغبية، الآن هى تغرق نتيجة اختياراتها الخاطئة، لو كانت ستموت عليها أن تموت معه لا مع شخص آخر، وإن كانت ستعيش، كيف يمكنها هذا وقلبها معلق بحسام.

الفصل الثاني عشر

«قد يبدو الأمر سخيفًا قليلًا، أنا ما زلت أكتب لك وأنت ما زلت لا تجيبين، حسنًا، سأظل أكتب لك حتى تأتى إلى المقهى ذاته ونتقابل وأريك ما أنا مستعد لفعله للحفاظ على وجودك فى حياتى، أعلم جيدًا أنك تفكرين فىّ، هذا خطابى الرابع، أرسل لك كل يوم خطاب، وكل يوم تفكرين فى ملايين الأفكار، عزيزتى«م» أتطلع إلى رؤية جمال عينيك مرة أخرى، سأنتظرك دائمًا فى المقهى عند غروب الشمس كل يوم، أرجو أن تأتى إلى هناك قريبًا».

أنهت منة الخطاب وابتسمت، هى لا تزال فى حيرة من أمرها، لا تعلم ماذا تفعل، هى معجبة به وبإصراره ومحاولاته، لكن لا تعلم حقيقة مشاعره تجاهها، وبالتالى لا تعلم حقيقة مشاعرها تجاهه أيضًا.

-«أظن أننى سأذهب اليوم».

كانت الظهيرة حين أخرجت الخطاب من صندوق البريد، لذا أمامها

حوالى خمس ساعات أو ست إلى أن تقابله، أنهت نصفهم فى القلق وتحضير ما ستقوله له حين تراه، ونصفهم الآخر فى محاولة ارتداء شىء يليق بالموقف، لن ترتدى فستانًا ولن تذهب إلى هناك بألوان فاتحة للغاية فتعكس حالتها وأنها سعيدة جدًا بالجلوس معه، لا تريد أن تظهر أمامه أنها متيمة به أو تحبه جدًا، كذلك الألوان الغامقة، لن تريد أن ترتدى شىء يظهر حزنها الشديد نحوه وأنه حطم جزء منها حين ظنت أنه يستبدلها بمرام، تريد أن تظهر على نحو طبيعى، لذلك ارتدت بنطال جينز- أزرق وسترة ملونة بعديد من الألوان المختلفة وذهبت إلى المقهى، دخلت إليه ووجدته يجلس وحده يحتسى الشاى ويأكل الكعك وينظر بشدة إلى الباب، ينتظرها أن تأتى، وعندما جاءت وقف وبدا على وجهه الفرح قليلًا، أشار لها أن تقترب وسحب لها كرسيها وأجلسها كما يفعل كل مرة، وقال لها:

-"كنت أعلم أنك ستأتين فى النهاية".

-"ما الذى يجعلك واثقًا للغاية هكذا؟"

-"فقط أعلم، هل اشتقت لى؟"

-"لا".

-"حسنًا، فى الحقيقة أنا اشتقت لك".

-"لى أم لمرام؟"

-"لك، لقد أخرجت مرام من عقلى تمامًا، لم أعد أفكر فيها".

-"لماذا؟ ألم تعد تحبها؟ أم نسيت حبك لها بهذه السرعة؟"

-"لقد نسيتها، لم أعد أحبها كما كنت أحبها، لقد ذهبت مرام وتركتنى وحدى، لن أعلق نفسى بها وأحبها إلى أن أموت".

-"إذن ستحب فتاة أخرى وتتخيلها مرام، أليس كذلك؟"

ضحك قليلًا وقال:

-"منة توقفى عن هذا، لقد رأيت هذا فى الأفلام فقط، لن يحدث هذا بيننا".

-"إذن ما الذى يحدث بيننا؟"

-"لا أعلم لكننى أستمتع به، ألا تستمتعين؟"

-"كنت، الآن لا أعلم ما إذا كنت أريد أن أكمل معك أم لا".

-"عزيزتى، لم نبدأ إلى الآن لكى تقولى كلمة أكمل!"

-"لا يهم، فقط لا أعلم إذا كنت الرجل المناسب يا حسام".

-"أجئت إلى هنا لتقولى هذا وحسب؟"

-"لا أعلم، أنا فقط لا أصدقك".

-"حسنًا، اسمعينى جيدًا، لقد كنت أستمتع بقضاء الوقت معك، كنت

صديقة جيدة، ساعدتِنى كثيرًا، وجعلتِنى أبتسم بعد أن ظننت أن مرام سرقت بسمتى وهربت، لقد أعجبت بك، فى الحقيقة ظننت أننى أحبك، لكننى أعلم يقينًا أن هذا يحدث فقط لأننى مشتاق إلى مرام، لم أرد أن أكسر قلبك إذا بدأت معك علاقة وأنا أظن أننى لن أستطيع اكمالها، أريد فقط أن أتأكد أننى أحبك».

-«حقًا؟ كيف ستفعل هذا إذن؟»

-«لا أحتاج إلى فعل هذا بعد الآن».

-«لماذا؟»

نظر فى عينيها وصمت قليلًا وقال:

-«لأننى بالفعل أحبك!»

-«حسام لقد انفصلت أنت ومرام منذ شهر أو أقل من هذا!»

-«ماذا إذن؟»

-«أنت لا تحبنى، أنت تحبها، كل ما تفعله الآن يجعل فكرتى وهى أنك تستبدلنى بمرام وترانى على هيئتها أقرب للصواب!»

-«أنا أقسم لك، أقسم لك إننى لا أفعل هذا، أنا أحبك، لقد نسيتها».

-«أنا لا أعلم، سأرحل، وأريدك أن تتوقف عن إرسال الخطابات لى».

-«لن أتوقف!»

-«إذن لن أفتحها مرة أخرى وسأتركها مكانها فى صندوق البريد».
قامت منة من مقعدها واتجهت إلى باب المقهى وخرجت منه لكن حسام أمسك بيدها وقال لها:
-«لن أدعك تذهبين».
-«توقف!»
-«فقط أجيبى هذا السؤال، بصدق».
-«ماذا تريد؟»
-«هل تحبيننى؟»
نظرت فى عينه وصمتت لوهلة قبل أن تقول:
-«لن أستطيع أن أجيب على هذا يا حسام!»
-«هذا لأنك تحبيننى بالفعل، فقط استمعى لى، أعطينى فرصة واحدة».
-«فرصة!»
-«أجل، أنا أقول لك أحبك، دعينى أسمعك تقولينها، ولنلتقى مجددًا، لنلتقى كثيرًا، دعينى أثبت هذا لك، وإذا ما شعرت أننى لا أحبك وأن هذا كذب أو أننى ما زلت أحب مرام، اتركينى حينها، فقط اتركينى كما تريدين أن تفعلى الآن، الأمر بهذه البساطة».
-«لا أعلم، لا أعلم، أنا خائفة، ماذا لو عادت مرام، ماذا ستفعل

حينها، هل ستتركنى لأجلها أم ستكمل معى؟"
صمت قليلًا وفكر فى هذا لثوانٍ ثم نظر فى عينيها وأمسك بيديه الاثنين كتفيها وقال:
-"منة، أنا أحبك، ولن أتركك مهما حدث، أنا أعدك".
نظرت له منة فى عينيه وزمت شفتيها، كانت تفكر فيما قاله، لا تدرى ماذا ستفعل، لا تدرى أتصدق كلامه أم تصدق ذلك الصوت بداخلها الذى يقول لها أن ترحل، فى كل مرة تسمع هذا الصوت تنفذ ما يقوله بدون تفكير، هذه المرة فكرت، هذا القرار الذى ستأخذه الآن قد يغير منحنى حياتها، مرت ثوانٍ وهما على ذات الوضع، فقط ينظران فى عينى بعضهما وكأن حسام يحاول أن يرجوها بعينيه ويجعلها توافق، أخرجت منة زفيرها المكتوم وقالت:
-"اللعنة على هذا!"

الفصل الثالث عشر

"عزيزتى، أظن أنها النهاية الآن، النهاية بصدق، لقد أقسمت ألا أحب غيرك، وأن قلبى ملك لك إلى أن ينفد منى العمر، تشاركنا العديد من الذكريات المميزة، تشاركنا الكثير الكثير من النظرات التى رأيت فيها روحك ووقعت فى حبها، كان بيننا الكثير من اللحظات القصيرة التى جعلتنى أحبك أكثر كل مرة، كل مرة أصافحك، كل مرة تبتسمين لى، كل مرة تشاورين من بعيد، كل مرة أحضر لك هدية وأراكى سعيدة، كل شىء بيننا كان يستحق أن يُروى كقصة، كان مجلسنا يستحق أن يكون رواية، كل نظرة يُمكن أن تكون قصيدة وفى النهاية، كان يمكن أن نكون ديوانًا، ربما كان سيكون الأشهر على الإطلاق، حزين أن هذا الديوان لم يكتمل، حزين أننا لم نكتمل.

عزيزتى، اخترت أن تمضى فى طريقك وتتركينى، وكنت أمضى فى نفس طريقنا آملًا أن ألقاك، فى النهاية اكتشفت أن هذا الطريق نهايته كئيبة

بائسة، كل شىء به ميت لا محال، وأنا يزال قلبى شابًا لأن يموت بهذه السرعة، كنت أتمنى لو أن روحى لم تشب بسببك، كنت أتمنى لو تشيب روحى بجانبك، الآن اخترت أن أكمل فى طريق آخر، مع شخص آخر، لو قابلتى منة ستحبينها، أعلم هذا، سأكون سعيدًا معها، سأكون سعيدًا مع شخص لن يخذلنى أبدًا، وأتمنى ألا تعودى، أتمنى هذا من كل قلبى، لأننى أخاف أن أخذلها هى، ربما أفعل، لا أعلم، أنا أشعر معها كما شعرت معك فى أول مرة رأيتك، أشعر أن لى قيمة فى هذه الحياة، أشعر أن هناك أحد يهتم لوجودى، أشعر أننى حى، أشعر أننى حى، هذا كل شىء، وهذا كل ما يهم على أية حال.

عزيزتى، هذا الخطاب آخر ما أخاطب به روحك، سأمضى فى طريقى ولن أنظر للخلف لأرى ذكرياتنا تنادينا، سأخلق ذكريات جديدة معها، سنخلق أماكن جديدة، مدن أخرى، موسيقى أخرى، قلب آخر، فلن أستطيع أن أحب منة بنفس القلب الذى أحببتك به.

عزيزتى، إلى اللقاء فى حياة أخرى وكون آخر».

أنهى حسام كتابة خطابه وهذه المرة لم يقطعه ويرميه فى الماء كما اعتاد، بل احتفظ به فى جيب سترته الداخلى، نظر نظرة أخيرة إلى النيل والأفق من مكانه على الجسر، كان يودعه ويودع ذكرياته هنا، لكنه لم

يكن يبكى ولم تدمع عيناه، تعهد ألا يأتى إلى هنا مرة أخرى ويقف مثلما يقف الآن، لن يفكر بها بعد اليوم أكثر من لحظات، ستداعب خياله ولن يلتفت إلى هذا، يكفيه ما حدث، سار متهاديًا بعيدًا عن هذا المكان ولم ينظر خلفه، كان يريد الالتفات بشدة لكنه قاوم بأقصى ما لديه، ذهب إلى منزله واعتلى فراشه وأخذ يفكر فى جدوله المزدحم فى الغد، سيعود للتصوير مرة أخرى، ولديه تجربة الأداء المهمة للفيلم الجديد، تخيل كيف سيكون الأمر إن أخذ الدور، إنها بطولة مشتركة مع أحد نجوم الشباك فى الوقت الحالى، سيساعد هذا فى انطلاقه بسرعة إلى القمة، نظر إلى ساعته فوجدها الحادية عشر ليلًا، أمسك هاتفه واتصل بمنة، أجابت قائلة:

-"ليست هذه مواعيد الاتصال الكلاسيكية يا عزيزى".

-"أعلم هذا لكن هناك أمر ما، إنه فى غاية الأهمية".

-"ماذا تريد؟ هل أنت بخير؟!"

-"أجل، أجل لا تقلقى، فقط..."

صمت قليلًا ليبتلع ريقه ثم أكمل:

-"هناك تجربة الأداء هذه فى الغد، وأنا، آه، أنا متوتر قليلًا".

-"هل هى ذاتها التى أخبرتنى عنها منذ أيام، التى ستقذفك بقوة إلى

أعلى؟»

-«أجل».

-«عزيزى، أتعلم، فى كل مرة يكون عندى امتحان وأذاكر بشدة، ولكن لا يزال هذا الشعور بالقلق والتوتر يلازمنى، وفى كل مرة أؤدى بشكل رائع فى الامتحان، صدقنى، غدًا ستبهرهم جميعًا، ولن يحصل شخص آخر على هذا الدور، إنه ملك لك من الآن».

-«هل حقًا تعتقدين هذا؟!»

-«أجل، أنا واثقة بك وبقدرتك وموهبتك، لقد اجتهدت كثيرًا حتى وصلت إلى هذه المرحلة، ومهما يحدث، أنا فخورة بك».

-«حقًا؟!»

-«أجل، وسأظل فخورة بك مهما يحدث، الآن اذهب إلى النوم، أمامك يوم حافل فى الغد، ولنلتقى فى المساء أمام المقهى».

-«لماذا أمامه؟»

-«سنذهب إلى مكانٍ ما، أريد مفاجأتك».

-«حسنًا هذا سيساعدنى على التركيز غدًا».

ضحكا معًا ثم سكتا فقال لها:

-«طابت ليلتك آنستى الجميلة».

-"طابت ليلتك يا عزيزى".

الفصل الرابع عشر

استيقظت منة من النوم فى الثانية ظهرًا فقامت مسرعة وارتدت ملابسها وهيئت منظرها وخرجت من المنزل، تفقدت صندوق البريد كما كانت تتفقده كل يوم ولكنها لم تجد شيئًا اليوم، أكملت طريقها، كانت تريد أن تجعل اليوم استثنائيًا لهما، إنها تجهز هدية منذ عدة أيام، ستعجب حسام بشدة، ذهبت إلى المتجر ودفعت باقى ثمن الهدية وأخذتها، ثم ذهبت إلى المكان الذى سيجلسان فيه فى المساء، تفقدته مرة أخرى مثلما تتفقده منذ أيام وهو جاهز لموعدهما الليلة، ذهبت إلى منزلها وأخبرت أباها أنها تريد السيارة هذا المساء فأعطاها المفاتيح، صعدت إلى غرفتها وأخذت ملاءة بها عدة أشياء داخلها ثم نزلت ووضعتها فى صندوق السيارة، كانت الساعة قد اقتربت من السادسة، وقد بدأت الشمس تغرب، ذهبت بالسيارة أمام المقهى فوجدت حسام فى انتظارها، بدا عليه المفاجأة من السيارة قليلًا، فهى ضخمة، من نوع السيارات رباعية الدفع، توقفت بجانب حسام أنزلت زجاج نافذتها وتحدثت إليه:

-"أتعجبك السيارة؟"

-"إنها رائعة!"

-"حسنًا، اصعد".

-"إلى أين سنذهب؟"

-"إنها مفاجأة".

صعد حسام إلى السيارة واشتم رائحة الورد فقال لها:

-"معطر الجو هذا مثالى، يبدو تمامًا كالورود الحقيقية".

ابتسمت وبدأت قيادة السيارة مبتعدة.

-"من أين لك هذه السيارة إذن؟"

-"إنها سيارتنا".

-"سيارة أسرتك؟"

-"أجل، لدى أبى سيارتان، واحدة له وواحدة للمنزل، أمى لديها سيارة أيضًا، لذا إذا كنت أريد السيارة هذه أطلبها فقط ويعطيها لى أبى".

رفع حسام حاجبيه من المفاجأة وعلت الدهشة محياه،

وبينما تتحرك منة بالسيارة وتعبر الشوارع والطرقات حتى وصلت إلى منطقة بعيدة قليلًا، قال لها حسام:

-"حسنًا عزيزتى، بدأت أقلق، إلى أين تذهبين؟"

ضحكت منة من خوفه الذى ظهر الآن وقالت له:

-"لا تقلق، لن أختطفك وأبيع أعضاءك".

-«كل تجار الأعضاء يقولون هذا فى البداية».

-«حسنًا، أعتقد أن عليك أن تثق بى إذن!»

-«أنا أثق بك، صدقينى، لكننى فقط لم آتى إلى هذا المكان من قبل».

-«حسنًا أنا أعرفه جيدًا، أتيت إلى هنا عدة مرات، إنه بعيد قليلًا عن المدينة لكنه جميل، لا أحد يأتى إليه كثيرًا، لذا سنكون بمفردنا الليلة».

-«أترين، هذا سبب آخر يجعلنى أظن أنك ستقتليننى وتسرقين أعضائى».

ضحكت منة بصوت مرتفع وقالت:

-«لا تقلق، لقد قلت لى من قبل أننا سنغير المكان الذى نلتقى فيه، صحيح؟»

-«صحيح».

-«حسنًا، هذا المكان مناسب».

-«أجل حيث تستطيع الذئاب أن تقتلنا أو ترقص معنا».

توقفت منة بالسيارة وطلبت من حسام أن ينتظر قليلًا، كان المكان مضاء بنور مصابيح السيارة فقط، خرجت منة وأخرجت الملاءة ثم اتجهت أمام السيارة وفرشتها على الأرض ورجعت إلى السيارة وقالت لحسام:

-«قد تود أن تخرج من السيارة الآن».

خرج حسام وكان قلقًا ومشيته بطيئة، كان مستعد لأن يضرب أى أحد يقترب منه الآن، لاحظت منة قلقه وقالت له:

-"توقف عن الخوف، لن يؤذيك أحد وأنت معى".

-"حسنًا، من المفترض أن أقول أنا هذه الجملة، لكن لا بأس، ما هذا المكان؟"

تفقد حسام المكان ببصره جيدًا، إنهما فوق تل، يبدو أنهما فى الصحراء أو ما شابه، وكانا قريبين من منحدر التل، نظر حسام فوجد الرمال فى كل مكان، عدة مبانى بعيدة مبنية على هيئة صفين طويلين وبينهما مساحة كبيرة فى منتصفها يجرى نهر من الماء.

-"كيف توجد كل هذه الرمال ويوجد هذا النهر، هل هذا النيل؟"

اقتربت منه ووقفت بجانبه وقالت:

-"حسنًا يا عزيزى دعنى أخبرك، هذا المكان قديم للغاية، هذا التل جزء من الصحراء وهذا النهر هناك هو النيل، وهذه المبانى هى مناطق أثرية، كان يسكن بها الناس منذ قديم الزمن، أعتقد فى عصر الفراعنة أو ما شابه، كان النيل لديه فروع أخرى، لكنها جفت أو ردمت، بقى هذا الفرع، وهذا المكان أصبح صحراء كما ترى، هذا شىء جيد، أنت بعيد عن المدينة، لا يوجد تلوث، يمكنك أن تستمتع بالهواء الجيد ولو

نظرت لأعلى سترى النجوم، كما لم ترها من قبل، أمامك يجرى النيل كما تحب أن تراه، ونحن بمفردنا تمامًا».

نظر حسام إليها وابتسم وقال:

-«حسنًا شاهدت هذا الجزء فى فيلم ما، الآن ستتحولين إلى وحش وتأكليننى، أليس كذلك؟»

ضحكت منة بصوتٍ عالٍ مرة أخرى وقالت:

-«ليس الآن، الآن ستجلس على هذه الملاءة لأن لدى شىء من أجلك».

نظر حسام إلى الملاءة فوجد عليها القليل من الورد الأحمر والأبيض وهناك سلة مغلقة، جلس على الملاءة وقال لمنة:

-«هل هذه السلة بها طعام؟»

ابتسمت منة ثم قالت:

-«هل أنت غبى؟ أتيت بك إلى مكان منعزل، وقلت لك أكثر من مرة أننا وحدنا وجلبت لك الورد بالألوان التى تحبها، وكل الذى يهمك هل فى السلة طعام أم لا؟!»

صمت حسام قليلًا وفكر فيما يحدث ثم نظر إلى منة وضيق عينيه قليلًا كأنه فهم مقصدها وقال:

-"يبدو أننى فهمت ما ترمين إليه، لكن هل يوجد طعام؟ أنا جائع للغاية".

فقدت منة الأمل فجلست بجانبه وفتحت السلة وأخرجت منها ساندويتش وأعطته لحسام وقالت له:

-"لحم الدجاج، كما تحبه تمامًا".

ضحك حسام وقال:"أنا أمازحك فحسب، لكننى سآكله على أية حال".

رقدت منة على الملاءة وأخذت تنظر إلى السماء وتتأمل النجوم منتظرة أن ينهى حسام طعامه ولكنه نظر إليها فأنهى مضغه ثم ابتلعه وترك الباقى بجانبه وقال لها:

-"أنت جميلة للغاية الليلة!"

نظرت منة له وابتسمت بخجل وقالت:

-"ارقد أنت أيضًا، السماء منظرها جميل".

-"هل حقًا سيصبح هذا مكاننا؟ يبدو رائعًا، أريد أن أتزوج وأستقر هنا، أو فى الإسكندرية، لا أعلم".

نظرت منة إليه وقالت:

-"سيصبح مكاننا، سنأتى إلى هنا كل مرة نلتقى فيها، لا أحد يعرفه سوانا".

–"كل شىء يبدو جميلًا حقًا، النجوم، المنظر، مصابيح السيارة، كل شىء جميل وأنت أجمل من كل شىء، هذه أجمل لحظات حياتى، هل هناك شىء يمكن أن يحدث الآن ويجعل هذه الليلة أفضل؟"

–"فى الحقيقة نعم، انتظر قليلًا".

قامت منة واتجهت إلى السيارة، فتحت درج القفازات وأخرجت منه صندوق صغير من قماش القطيفة، رجعت فوجدت حسام يجلس وينظر إليها، فجلست أمامه مباشرة وأعطته العلبة وقالت له:

–"افتحها".

نظر إليها حسام وقال:

–"إذا كنت تحاولين أن تسألينى الزواج فمن المفترض أن تركعى على قدم وتفتحى أنت العلبة لا أنا!"

ضحكت منة وقالت له:

–"أنا لا أحاول هذا، افتحها فحسب".

ابتسم حسام وفتح العلبة فوجد تمثالًا ذهبيًا صغيرًا بحجم إصبعه، يبدو كرجل يضم يديه إلى صدره، أصابته هذه المفاجأة فى قلبه، فاضطرب نبضه قليلًا، وكأن قلبه يرقص من شدة الفرحة، فقال لها:

–"أنت تعطينى الأوسكار؟"

-"أجل، ستكون أول أوسكار لك منى، ثم سنربح المزيد منها ولكن بالحجم الحقيقى بعد عدة أعوام".

بدأ حسام يرتبك ولا يعرف ماذا يقول، دمعت عيناه قليلًا وقال لها:

-"هذه بالفعل أسعد لحظات حياتى، يا إلهى كم أحبك، عزيزتى، لو فزت بهذه الجائزة فى الحقيقة لن أكون سعيدًا كما أنا سعيد الآن".

ارتمت منة فى حضنه، كانت هذه المرة الأولى التى يتعانقان فيها، كانت لحظة مميزة بكل ما تعنيه الكلمة، وقعا أرضًا ثم نظرا إلى السماء مرة أخرى يتأملان النجوم، كانت عيونهما تدمع من الفرحة، سحب حسام نفسًا عميقًا ثم أخرجه وقال:

-"إذن لماذا كل هذا؟ لماذا هذه المفاجأة؟ هل هناك مناسبة فاتتنى أو شىء ما؟"

ضحكت منة وقالت:

-"لا، فقط هذا لأنك حصلت على الدور".

تعجب حسام ونظر إليها وقال:

-"كيف عرفتِ هذا؟ هل تحدثت مع المنتجين أو المخرج وعلمت هذا؟"

-"لا، أنا فقط كنت واثقة بشدة أنك ستناله، منذ اللحظة الأولى التى

قلت لى عن تجربة الأداء وأنا كنت أعلم أنك ستناله".

-"لم أكن سأناله لو لم تقولى لى كل هذا الكلام أمس، لقد حصلت عليه بسببك!"

-"حسنًا إذن، عندما تلقى خطاب الفوز بالأوسكار، قل أنك حصلت عليها بسبب تلك الفتاة التى شجعتنى فى الليلة التى سبقت تجربة الأداء وجعلتنى أصل إلى هذه المنصة".

-"أعدك أننى سأهديها لزوجتى، لا تقلقى".

نظرت له بينما ينظر إلى السماء ثم ضحكا معًا ونظر حسام إلى ساعته فوجد الوقت يقترب من منتصف الليل، فنهض وقال لمنة:

-"عزيزتى، الوقت تأخر، ينبغى أن نذهب الآن".

-"حقًا؟ كم الساعة؟"

-"الحادية عشر والنصف".

-"أجل، فلنذهب الآن وإلا سيقتلنى أبى".

*****

فى الصباح التالى، نهضت منة وخرجت من غرفتها وودعت والدها وهو

يذهب إلى عمله وذهبت لتفقد صندوق البريد فوجدت بداخله خطاب وردة حمراء،

ابتسمت وفتحت الخطاب وقرأت ما بداخله:

«أهدى هذه الجائزة لزوجتى العزيزة منة، لولاها لما استطعت أن أصل إلى هذه المنصة».

الفصل الخامس عشر

كان كل شيءٍ جاهزًا، الزينة معلقة، الورد فى كل مكان، الإضاءة مناسبة لحفل الخطوبة، الكل سعيد ومبتهج وجميعهم يصفقون منتظرين دخول الثنائى السعيد، كان محمد بالفعل سعيدًا للغاية وتبدو على وجهه السعادة الغامرة، قد يكون هذا حلم يتحقق الآن، حلم راوده منذ شبابه بأن يقف مع مرام فى هذا المكان، كل الورود وكل التصفيق وكل الستائر حوله كانت هى فى حلمه، كل شىء يسير كما أراد أن يسير، الحياة مبتسمة له دائمًا، وبجانبه مرام، مبتسمة هى الأخرى، ابتسامة مصطنعة مجاملة لكل الناس، لم يكن هذا حلمها، لم تكن تريد أن تقف بجانب محمد، لقد حلمت أن تقف بجانب حسام، وأعدت نفسها من أجل هذا، وتخيلته كثيرًا، لماذا وجدت نفسها الآن بجانب شخص آخر، كل شىء خطأها، ربما ليس كل شىء، لكن هذه اختياراتها، أو ما تركت نفسها تنقاد إليه، اقتربت من أبيها وعانقته، فهمس فى أذنها:

-"كم كانت ستتمنى أمك لو تراك وأنت جميلة هكذا!"
دمعت عيناها كما دمعت عين والدها تمامًا وقالت له:
-"هى ترانا، إن طيفها يقف فى مكان ما هنا ينظر إلينا ودموع عينيها تسيل على وجهها من فرط سعادتها بى".
عانقها والدها مرة أخرى وقال:
-"هذا صحيح يا حبيبتى، نحن جميعًا فى غاية السعادة لأجلك، لن تجدى أحدًا يحبك كما يحبك محمد".
ابتسمت له ابتسامتها المصطنعة وقالت له:
-"هذا صحيح".
تركته وعانقت أختها وهى ترد على تهنئـتها ثم عادت لترقص مع خطيبها فى وسط الساحة، كان الجميع هناك يرقص أو يصفق، الجميع سعيد، الجميع روحه فرحة، أما مرام فهى تحرك جسدها مع الموسيقى وروحها ساكنة رافضه أن تحتفل بهذه الليلة، كانت تقول إن هذا كله خاطئ، لا يجب أن تكون هنا الآن، لا يجب أن ترقص هكذا، ينبغى أن تكون فى مكان آخر، لكنها لم تتحرك من مكانها، لم ترد إفساد الليلة على الحضور جميعًا، ولكن الليلة شعرت بمعاناة روحها ومر الوقت سريعًا، فغادر الحضور وغادر ورائهم الثنائى المثالى، أوصل محمد مرام إلى منزلها وطبع

قبلة على جبينها وقال لها:

-"المرة القادمة سأوصلك إلى منزلنا، وهذه القبلة سأطبعها على فمك".

ابتسمت مرام ثم خرجت من السيارة ودخلت منزلها وصعدت إلى غرفتها، غيرت ملابسها ومسحت وجهها مما كان عليه من مستحضرات تجميل، حاولت ألا تبكى، حاولت أن ترتاح من عناء اليوم وكل ما حدث به من تنقل إلى كل الأماكن وكل الرقص وكل النفاق، اعتلت الفراش وخلدت فى النوم مع أول محاولة لإغماض عينيها.

الفصل السادس عشر

كانت السينما مزدحمة هذه الليلة، إنه العرض الأول للفيلم الذى يشارك فى بطولته حسام، الكثير من الصحفيين والنقاد شاهدوا الفيلم وأعجبوا به كثيرًا وتحدثت القنوات عنه، التقييمات الأولية أظهرت أنه فيلم ناجح بكل المقاييس، ولكن ما أذهل النقاد بحق هو الدور الذى مثله حسام فى الفيلم، فعلى عكس عادة الأفلام أن ينقل لك القصة من عين البطل الطيب، نقلها هذه المرة من عين الشخص الشرير، وهو الذى كان يقوم ببطولته الممثل الأكثر جدلًا، محمود عبد الرازق، ذلك الشاب الذى لمع وأصبح من أكبر الممثلين فى وقت قصير، وعلاوة على هذا، كل أفلامه تدخل قائمة أكثر الأفلام ربحًا كل عام، أما حسام فيقوم بشخصية البطل الطيب، الدور الذى أداه بشكل رائع جعل الشخصية تخلد باسمه فى التاريخ، كل النقاد قالوا إنه غطى على نجم عبد الرازق فى هذا الفيلم، وإنه بدونه قد يفقد الكثير، كان حسام واقفًا وبجانبه

منة وحولهما الكثير من الصحفيين يحاولون أخذ تصريح من حسام، وعندما ابتعد عنهم وغادر السينما إلى سيارته الفارهة رن هاتفه برقم مجهول، رد على المكالمة فوجد صوت مذيعة برامج مشهورة تحدثه:

-"أهلًا يا أستاذ حسام، كيف حالك؟"

-"جيد جدًا، هل أنت..."

-"نعم هى، رشا القاضى، أريد أن أستضيفك فى برنامجى غدًا، سيكون لقاء عنك وعن حياتك قبل أن يكون لقاء عن الفيلم ونجاحه".

-"حسنًا بالتأكيد".

-"جيد، أراك غدًا فى تمام التاسعة فى مدينة الإنتاج، وبالمناسبة، قد ترغب فى إحضار صديقتك معك".

-"منة؟"

-"أجل، سأنتظرك، إلى اللقاء".

أغلقت المكالمة، ونظر حسام إلى منة التى جلست بجانبه وقال لها:

-"يريدون أن يقابلونا غدًا!"

-"من هم؟"

-"رشا القاضى".

-"أتمزح؟!"

-«لا، لا أمزح، يريدون أن يستضيفونى فى لقاء عنى وعن حياتى ويريدوننى أن أحضرك معى».

-«هذا مذهل، هل سأظهر على التلفاز أخيرًا؟»

-«أجل، ستصبحين مشهورة الآن».

فى اليوم التالى وعندما بدأ البث المباشر وبعد تصفيق الجمهور الحاد جلس حسام وبجانبه منة على أريكة وأمامهما رشا، رحبت بهما بشدة ثم وجهت حديثها لحسام وقالت:

-«الأمس كان العرض الخاص بالفيلم وكل النقاد والصحفيين قالوا إنه كان عظيمًا، وقالوا عنك بالذات إنك تركت علامة فى السينما بدورك هذا، والآن كل التذاكر الخاصة بالفيلم محجوزة لمدة شهر على الأقل فى كل دور العرض، كيف تشعر حيال هذا؟»

أجابها حسام وقال:

-«بالسعادة، أشعر كأن حلمًا حلمت به منذ صغرى يتحقق الآن».

فابتسمت له مجاملة ثم قالت:

-«الصغر، أجل أحكى لنا عن طفولتك قليلًا، ولماذا أردت أن تصبح ممثلًا؟ كيف دخلت إلى المجال؟»

-«حسنًا لم يكن هذا بالأمر السهل أبدًا، فى البداية أنا أحب الأفلام،

كنت أشاهدها طيلة الوقت، كنت أضيع على نفسى الذهاب إلى المدرسة أو الدروس فى المجموعات لكى أشاهد فيلم أو مسلسل جيد، وكنت بعدها أتقمص شخصية البطل أو الشخصية التى تعجبنى وأقول سطوره التى أعجبتنى وحفظتها، كنت أحب هذا جدًا وكنت أفعله طيلة الوقت".

قالت له رشا:

-"لكن ماذا عن أهلك؟ ألم يكونوا يمنعوك من مشاهدة الأفلام أو التلفاز أو ما شابه؟"

أجابها وقال:

-"فى الحقيقة بلى، كانوا إذا أغلقوا التلفاز أذهب لأذاكر قليلًا، ثم أذهب إلى منزل أصدقائى لأكمل مشاهدة التلفاز عنده، كنت أقول لهم إننا نذاكر ولكننا كنا نشاهد التلفاز".

-"هذا ما فعلناه كلنا، لكن كيف دخلت المجال؟"

-"فى السادسة عشر قررت أن أصبح ممثلًا، ذهبت إلى قصر الثقافة فى بلدتى وطلبت أن أشترك فى المسرحية القادمة، أعطانى المخرج دورًا من ثمان جمل، ثم أخذوا فى التزايد مع كل مسرحية أشارك بها، حتى فى النهاية حصلت على دور البطولة فى السابعة عشر".

-"فى سنة واحدة حصلت على دور البطولة؟!"

-"أجل كنت موهوبًا للغاية".

قالها ونظر نظرة ثقة ثم ضحك وأكمل حديثه:

-"كان دور البطولة الأول لى صعبًا للغاية، لكن يبدو أننى مثلته بشكل جيد، كان أحد المخرجين يشاهد العرض، أعجب بى وطلب منى أن أشارك فى المسلسل القادم له، وعرض على مبلغ كبير، لم أكن أتوقعه، وافقت على الفور، وبدأت تصوير المسلسل وكانوا متعاونين معى للغاية، والآن نحن نصور الجزء الثانى منه".

-"كنت صغيرًا حينها، فى السابعة عشر وحصلت على دور بطولة مشتركة فى مسلسل كبير، هذا غريب".

-"حسنًا استطاعوا جعلى أتقدم فى السن عدة أعوام، كما أننى أبدو أكبر من عمرى الحقيقى".

-"حسنًا، وماذا عن أهلك؟"

-"مانعوا استمرارى فى هذا المجال، لم يكونوا يريدوننى أن أصبح ممثلًا، كانوا يريدون أن يكبر ابنهم ويصبح مهندس أو طبيب أو أى شىء من هذا القبيل، لكننى أكره أن أصبح هكذا، هذه الأعمال مملة، كما أننى لست شغوفًا بها".

-"بالفعل، أهم شىء الشغف، إذن يا حسام فلتحدثنا عن صديقتك، منة أليس كذلك؟"

-"منة، أجل".

-"حدثنا عنها قليلًا لأنها صامتة منذ فترة، كيف تعرفت عليها؟"

ابتسمت له منة متذكره اللحظة الأولى بينهما، وكذلك ابتسم لها ثم نظر إلى رشا مرة أخرى وقال:

-"إنها زميلتى فى الكلية، كانت تساعدنى فى المذاكرة، ثم أصبحت أحكى لها الكثير عن حياتى، وكانت تساعدنى فى مواجهة مشاكلى كلها، وبعدها وقعت فى حبها".

ابتسمت رشا ثم نظرت إلى منة وسألتها:

-"ماذا عنك؟ هل وقعت فى حبه أيضًا؟"

ابتسمت منة وقالت لها:

-"لقد وقعت فى حبه قبل أن يقع فى حبى بأيام، كنت أنتظر اليوم الذى سيقول لى أنه يحبنى، وعندما قالها شعرت أننى أسعد من على الأرض".

نظرت رشا لهما وقالت:

-"أنتما رائعان للغاية، أنا أشعر بالحب فى الأجواء هنا".

ثم نظرت إلى الكاميرا وقالت:

-"أعزائى المشاهدين، فاصل قصير ونكمل اللقاء".

توقف البث وتناولت رشا كوب الماء أمامها وشربت منه القليل ثم قالت لهما:

-"هناك الكثير من الأشياء خلف هذه القصة، أليس كذلك؟"

فأجاباها فى صوت واحد:

-"الكثير والكثير من الأشياء".

نظرا إلى بعضهما وضحكا، ثم قالت رشا: هل تودا أن تُروى التفاصيل على الهواء؟"

فأجابها حسام قائلًا:

-"لا، لا أريد هذا، أفضل أن تبقى هذه التفاصيل سرية قليلًا".

-"لا بأس، إذن أنتما الآن تحبان بعضكما وحسب أليس كذلك؟"

قالت لها منة:

-"ماذا تقصدين؟"

-"أقصد هل أنتما متزوجان؟"

قال حسام:

-"فى الواقع لا، نحن فقط مخطوبان، ننتظر الوقت المناسب للزواج".

-"حسنًا هذا جيد، أنا أسأل فقط لكى لا أقول شىء أحمق على الهواء".

أجاباها بصوت واحد:

-"لا عليك".

قالت لهما:

-"حسنًا أمامنا عشر ثوانى ونعود إلى الهواء، جاهزان؟"

فقالا إنهما كذلك، وعادت رشا تتحدث إليهما مرة أخرى.

*****

بعد نهاية الحلقة وبعد أن أوصلها حسام إلى منزلها سألته منة:

-"متى برأيك الوقت المناسب؟"

فأجابها:

-"عذرًا؟"

-"ما هو الوقت المناسب بالنسبة لك لكى نتزوج؟"

صمت حسام قليلًا ثم قال لها:

-"لا أعلم، ما هو الوقت المناسب بالنسبة لك؟"

-"الآن قد يبدو مناسبًا".

-"الآن؟ هل أنت متأكدة أنك تريدين تقضية بقية عمرك معى؟"

-"أجل، لا أريد أى أحد آخر غيرك، هل هذا ما يمنعك من طلب الزواج منى؟ هل تظن أنك تريد أن تتزوج واحدة أخرى وتقضى بقية

عمرك معها؟»

-«الأمر ليس كذلك!»

-«إذن ما هو؟»

-«إنها مرام».

تفاجأت منة ونظرت إليه بغضب وكادت أن تفتح باب السيارة وتخرج منها لولا أن حسام أكمل قائلًا:

-«انتظرى حتى أكمل كلامى، لقد قابلتها منذ عدة أيام».

قالت له منة:

-«حسنًا، أكمل كلامك ولا تتوقف حتى تنتهى».

-«لقد قابلتها منذ عدة أيام فى أحد المتاجر عندما كنت أشترى الملابس، كانت مع خطيبها، كان يبدو عليها الحزن الشديد عندما رأتنى، لا أعلم لماذا، لكننى تأثرت بهذا».

-«حسنًا، إنها حزينة لأنها تركت ممثلًا ناجحًا، ما علاقة هذا بالزواج بى؟»

-«لم يكن الفيلم بالسينما بعد، ولم يتم حتى الإعلان عنه حينها».

-«ما علاقة هذا بالزواج بى يا حسام؟ قلها!»

-«لا أعلم».

-"هل تظن أنك لا تريد الزواج بى، وتريد الزواج بها؟"

-"الأمر ليس هكذا، أنا فقط تذكرتها بعد أن كنت نسيتها تمامًا، هذا أعاد لى بعض الذكريات الأليمة فحسب".

-"لا تحاول أن تقلب الطاولة على، اللعنة! أنت ما زلت تحبها! أليس كذلك؟"

صمت حسام لثانية فصرخت منة فيه قائلة:

-"أليس كذلك؟!!"

لم يجب حسام على هذا، ففتحت منة باب السيارة وخرجت منها ووقفت أمام النافذة وقالت له:

-"أنت كاذب لعين! ذلك اليوم منذ عام عندما قلت لى أنك تهدى الأوسكار اللعينة لزوجتك منة، ذلك الخطاب اللعين جعلنى أتخيل هذا كل ليلة، جعلنى أحبك أكثر من أى شىء فى حياتى".

صمتت منة قليلًا ومسحت الدموع التى بدأت تنساب من عينيها، ثم أكملت حديثها:

-"لقد قلت لى إنك تحبنى، ظننت أنك نسيتها وأنك أصبحت لى، كنت مخطئة، أنت لم تنسها يومًا، ولن تنساها، أليس كذلك؟ كل هذا كان من أجلها، كنت تريد الوصول إلى ما وصلت إليه الآن لتجعلها تندم

لأنها تركتك، ثم تعود وتترجاك أن تحبها مرة أخرى وتعطيها فرصة، قل لى، هل عادت؟ هل طلبت فرصتها؟»

قال لها حسام:

-«الأمر ليس كما تظنين...»

فصرخت له وقالت:

-«إذن ما هو؟ رأيت مرام وتخبرنى اسمها عندما أسألك لماذا لا تريد أن تتزوجنى، ما هو الأمر إذن؟»

خرج حسام من السيارة واقترب منها فلكمته فى صدره، فقال لها:

-«منة، أنت تعلمين جيدًا أننى أحبك، ولن أستطيع أبدًا التفريط فيك أو الابتعاد عنك».

-«حسنًا وأنا أريد أن أبتعد عنك الآن».

ابتعدت فأمسك حسام يدها فتوقفت وقالت له:

-«أنت قلت لى سابقًا أن أبتعد عنك إذا شعرت أنك ما تزال تحب مرام، وأنا أنفذ ما طلبت الآن».

-«انسى ما قلته من قبل، لقد مر أكثر من عام يا منة».

-«بالنسبة لى لم يمر الكثير، وأنا أريد أن أبتعد».

-«وأنا لا أريدك أن تفعلى هذا، أنا لا أريد أن أتزوجك الآن لأننى

خائف».

توقفت منة ونظرت إليه وقالت:

-«خائف؟!»

-«أجل، أنا خائف أن تكرهيني إذا غيرتنى الشهرة وأثر على المال، قد أصبح شخص آخر مختلف».

-«هل تتحدث بجدية الآن أم فقط تقول أى شىء لتغطى على حبك لمرام؟»

-«أقسم لك إننى أتحدث بجدية، عندما رأيت مرام فى المتجر وكانت حزينة بجانب خطيبها فكرت هل سنصبح على هذا الحال يومًا؟ هل ستكرهيننى وتمشين بجوارى حزينة؟ لم أفكر أننى أحبها أو أى شىء، فى الواقع عندما رأيتها لم أرغب حتى فى إلقاء التحية، لولا أن خطيبها الأحمق كان يتابع المسلسل الذى أمثل فيه وطلب أن يأخذ صورة معى لما ألقيت لهما بالًا، لكن كل ما فكرت فيه عندما غادرت المتجر هو حالنا إذا تزوجنا، إذا غيرتنى النقود وأصبحت شخصًا آخر، وأصبحتِ لا تطيقين الحياة معى».

-«حسام لن يحدث هذا أبدًا، أنا أحبك، وسأظل أحبك إلى الأبد يا عزيزى، كما إنك فى الحقيقة طيب، لن تستطيع النقود التأثير عليك».

-«أنا خائف!»

-«لا تخف، لن يحدث هذا لك، أعدك إننى إذا لاحظت أنك تتغير سأنتشلك مما تغرق فيه، هل تثق بى؟»

-«أجل».

-«الآن إذا جئت على سيرة هذه اللعينة مرة أخرى سأقتلك، أتفهم؟»

ضحك وقال:

-«أفهم».

عانقها وقال لها:

-«أنا آسف، لم أقصد أن أسبب لك الحزن، أو أن أدخل ذرة شك واحدة فى قلبك».

-«لا عليك، أنا أثق بك دائمًا وفى كل شىء عدا عندما تأتى على سيرتها، أشعر أنك ستتركنى لأجلها».

نظر إليها بعينين متسعتين وقال:

-«أنا أفعل هذا بك! لا، لا تقلقى».

-«حسنًا».

قبل جبينها وتركها تدخل منزلها وعاد لسيارته وأدار محركها ثم ابتعد، كان يفكر فيما قاله، لاحظ امرأة تسير على جانب الطريق، كانت تشبه

مرام كثيرًا، لكنه قال لنفسه إنها محض خيالات بسبب تفكيره الشديد فيها طيلة الأيام الماضية.

الفصل السابع عشر

عاد حسام إلى منزله ودخل غاضبًا يبحث فى أشيائه، كان يبحث عن هذا الخطاب الذى كتبه منذ فترة طويلة، فترة كافية لكى ينساه ويبدأ بالحنين مرة أخرى، بعد أن أخذ أول دفعة من تعاقده فى الفيلم الجديد اشترى منزلًا جديدًا، فكان يبحث فى كل أنحائه، يتساءل هل نساه فى المنزل القديم أم أحضره معه، حاول أن يتذكر هذا، يتذكر أين وضعه، لم يجده فى أغراضه وأوراقه لذلك يأس أن يجده، لكنه بعد أن جلس وحاول أن يهدأ من روعة الغاضب تذكر أنه وضعه فى تلك الليلة داخل جيب سترته، بحث عن السترة فى ملابسه الكثيرة حتى وجدها أخيرًا، ووجد بداخلها الخطاب كما تركه منذ عام وأكثر، بدأ يقرأه:

"عزيزتى، أظن أنها النهاية الآن..."

كان يمر بعينيه بين السطور بسرعة.

"...عزيزتى، اخترت أن تمضى فى طريقك وتتركينى..."

"...كنت أتمنى لو أن روحى لم تشب بسببك، كنت أتمنى لو تشيب روحى بجانبك..."

كان يتذكر مشاعره حين كتب هذا الخطاب الأخير، تذكر وعده لمنة أنه لن يتذكر مرام مرة أخرى، كان يحاول أن يكون مخلصًا فى وعده، لقد قاوم الكثير من الأشياء، قاوم الكثير من الذكريات والموسيقى حتى نسيها تمامًا.

"...سأكون سعيدًا مع شخص لن يخذلنى أبدًا، وأتمنى ألا تعودى، أتمنى هذا من كل قلبى، لأننى أخاف أن أخذلها هى..."

تحدث مع نفسه قائلًا:

-"ماذا لو عادت؟ ماذا لو عادت بالفعل؟ لقد رأيتها بالصدفة فى أحد المتاجر واضطرب قلبى كل هذا الاضطراب، لقد كنت أنتظرها حقًا، انتظرت أن تأتى هذه اللحظة التى أراها فيها وأخبرها أننى لا أزال أكن بعض المشاعر لها، لكن هذا خاطئ، كيف أفعل هذا بمنة؟ لقد أحبتنى ربما أكثر مما أحببت مرام، سيقتلها هذا، سيقتلنى الذنب أيضًا. لماذا؟ لماذا بعد أن خطوت أميالًا من النسيان تعيدى تلك النظرة اللعينة".

"...عزيزتى، هذا الخطاب آخر ما أخاطب به روحك..."

تابع التنقل بين السطور حتى وصل إلى تلك العبارة الأخيرة:

"...فلن أستطيع أن أحب منة بنفس القلب الذى أحببتك به..."

تحدث إلى نفسه مرة أخرى:

-"لا أعلم إذا كان ما فعلته صحيحًا أم لا، لو لم أكذب وأختلق تلك القصة عن خوفى من تغيرى بسبب المال كانت ستتركنى ولن تتحدث معى مرة أخرى، لكن أنا لا يجب أن أكذب عليها، سأخبرها بالحقيقة، أو ربما لا يجدر بى فعل هذا، لا أعلم! هذا محير للغاية، حسنًا كل ما أعرفه وكل ما أنا متيقن منه هو أننى أحب منة، أكن بعض المشاعر اللعينة لمرام، لقد ظهرت فحسب لأننى رأيتها صدفة، لكن لا، لن أنهى علاقتى مع منة بسبب هذا، أنا أحبها، أريد أن أكمل حياتى معها".

ذهب ونظر إلى المرآة بنظرة يأس وقال لانعكاسه:

-"أليس كذلك؟"

نظر لانعكاسه بضع ثوانى كافية لتثور أفكاره عليه فصرخ بقوة وغضب وقال:

-"يكفى هذا!!"

ثم أمسك مزهرية كانت بجانبه ورماها بكل قوته على الأرض فتحطمت، ثم ركل المرآة عدة مرات حتى انكسرت فى النهاية، كان يصب كل

سخطه وحيرته فى هذا، هذا كل ما كان يحتاجه ليهدأ، جلس أرضًا وبدأ يتنفس بعمق، بدأت ساقه تؤلمه نتيجة ركله للمرآة، قام وغسل وجهه بالماء البارد وأخذ بعض المسكنات لساقه وأعد كوب قهوة، أخذ قلمًا وورقة من مكتبه وجلس فى شرفته وبدأ يكتب:

"عزيزتى، لا أعلم لماذا أريد أن أقول هذا الآن، ولماذا أبعثه فى خطاب كما اعتدت أن أفعل من قبل، لكننى أريدك أن تعرفى أننى أحبك، هذا كل ما يفكر فيه قلبى وكل ما يريد عقلى أن يردده فى كل مكان، سنتزوج لكن فى الوقت المناسب".

وضع هذا الخطاب فى ظرف بنى اللون وكتب عليه من الخارج كما فعل كل مرة"م"، ثم وضع بعض نقاط الشمع عليه ليغلقه وذهب إلى حديقته وأخذ زهرة حمراء منها، ودخل سيارته وذهب إلى منزل منة، نظر إلى نافذتها ووجد غرفتها مظلمة فعرف أنها نائمة الآن، وضع خطابه فى صندوق بريدها، ثم أرسل لها رسالة على هاتفها:

"تفقدى صندوق بريدك فى الغد".

دخل سيارته وفكر قليلًا إذا كان يعنى هذا بصدق أم لا، هل يحبها أم يحب مرام، عندما جاءت هذه الفكرة فى رأسه وجد نفسه يقول:

-"أنا أحب منة وأحب مرام، هذا ليس السؤال الصحيح، السؤال

الصحيح هو إذا توجب على الاختيار بينهما، من سأختار".

الفصل الثامن عشر

-"لقد كان يفكر بها أمس!"

كان هذا كل ما يدور فى ذهن منة عندما قرأت الخطاب، أخذت تحدث نفسها:

-"لم يكن ليقول هذا من تلقاء نفسه، لقد كان يفكر بها، حتمًا فكر بها، شعر بالحنين تجاهها، أنا أعرفه جيدًا، أعرفه حين يرتبك وحين يتوتر، إنه فى معضلة، لا يعرف من يختار بيننا، سأسهل عليه الأمر، لكن هل جاءت إليه لتخبره إنها تحبه؟ هل ندمت لفراقه؟ هل قاده الحنين لمنزلها أو اتصل بها؟ هناك أمر ما يحدث، وحسام يكذب على، كل ما فى الأمر هو أننى لا أعرف ماذا أفعل، هل أواجهه؟ هل أتركه وأنتظر أن يخبرنى بنفسه؟ يجب عليه أن يختار بنفسه، لكن ماذا لو اختارها؟ ماذا لو تركنى من أجلها؟ لن يمكننى تحمل هذا، هل سيفعل هذا بى؟ سأواجهه، سأخبره أن ينساها ويمضى فى طريقه، لكن هذا لن يفلح، إذا مر عام وما يزال يحبها ستمر أعوام أخرى وهو ما يزال يحبها، وسيتغير معى، سيكرهنى، أو أسوأ، سيتزوجنى وتمر الأيام وعندما ينادى على سيقول مرام، لا أعلم ماذا يجب أن أفعل، لا أعلم،

سأترك الأمر يسير كما هو، وليحدث ما يحدث، أنا متأكدة إلى حد اليقين إنه لن يكسر قلبى كما كسرت تلك اللعينة قلبه، أنا أثق به».

أخرجت هاتفها واتصلت بحسام وقالت عندما أجاب:

-«أنا أحبك».

صمت حسام قليلًا ثم قال:

-«حسنًا، إن هذه الكلمة أفضل من مرحبًا! أنا أيضًا أحبك».

ضحكت ثم قالت:

-«فلنتناول العشاء الليلة سويًا، هل يمكنك هذا؟»

-«بالطبع يمكننى، سأنهى تصوير مشاهد اليوم فى السادسة، سأمر عليك فى السابعة، هل هذا يناسبك؟»

-«مثالى، سأنتظرك».

الفصل التاسع عشر

-«لا أريد الزواج منك».

قالت مرام هذه الكلمة لمحمد الجالس أمامها، قالتها وكأنما ألقت قنبلة على صدره، كادت مرام تسمع دقات قلبه المضطربة حين قالت هذا، لكن وجهه بدا عليه المفاجأة، وكادت عيناه تبكيان، لكنه تماسك وقال لها:

-«عذرًا؟ لا تريدين الزواج منى؟»

-«أجل، أريدك أن تذهب الآن وتقول لوالدك إنك لا تريد أن تتزوجنى».

-«لماذا؟»

-«لأنى لا أحبك».

-«بهذه البساطة تقولينها؟!»

-«أجل، أنا لم أحبك يومًا، لقد كنت أكذب على نفسى».

-«لكن لماذا؟»

-"لأنك لعين أحمق، جئت تخبرنى أنك تحبنى فى وقت مناسب، لقد كنت خائفة، كنت أرتعد خوفًا على مستقبلى ومستقبل حسام، لذلك قبلتك، لأننى شعرت أننى سأضمن مستقبلى معك، لكن هذا كان غباء منى، أنا لا يهمنى مستقبل، لا يهمنى شىء سوى أن أكون مع حسام، إن كنت سأموت غدًا فأريد أن أموت بجانبه، ولو كنت سأموت بعد ألف عام فأيضًا أريد أنا أموت بجانبه".

-"كنت أظن أنك تحبيننى!"

-"لا يهم، لقد كنت وغدًا لكى تخبرنى إنك تحبنى وأنا فى علاقة مع شخص آخر وأنت تعرف هذا".

-"حسنًا لا تلقى اللوم علىّ بمفردى، لقد تركتيه من أجلى، الآن تتركينى من أجله؟"

-"أجل".

-"أنت عاهرة تجرى وراء المال".

-"من أنت أيها اللعين الأحمق لتسبنى فى منزلى، غادر الآن ويحسُن ألا تعود أو أراك مرة أخرى".

كانت مرام تصرخ فجاءت أختها من الداخل لترى ماذا يحدث لكنها وقفت تشاهد ما يحدث فقط، رد محمد عليها:

-"سأرحل، لكن أريدك أن تعرفى هذا، أنا أعرفك منذ اليوم الذى وُلدتِ فيه، وأنا أحبك قبل أن يحبك هذا الأحمق، وكنت على استعداد أن أفعل كل شىء من أجلك، عندما أخبرتِنى إنك على علاقة به غضبت للغاية، شعرت وكأن سهمًا دخل قلبى، وكأننى أموت ببطء، كنت أحبك قبله، لكنه كان أكثر منى شجاعة ليقولها لك، أعلم أننى كنت وغدًا لكى أقول لك إننى أحبك وأنا أعلم بعلاقتك به، لكن كنت أقاوم أن أقولها لك كل مرة أراك، كنت أفكر فيك كل يوم، كنت أتمنى لو نتزوج ونحظى بعائلة كبيرة، كنت أرغب فى الكثير معك، وصدقينى ما أزال أرغب فى كل هذا".

-"حسنًا هذا يكفى، لا يهمنى كل هذا".

-"ستندمين على هذا، ستذهبين إليه وسيرفضك، أتعلمين لماذا؟ لأنه يكرهك، لقد وصل إلى نجوميته وحقق حلمه دونك، لن يسمح لك أن تدخلى إلى حياته ببساطة هكذا".

-"لا يهمنى، أفضل أن أقضى حياتى بمفردى على أن أقضيها مع شخص غيره".

-"سنرى بشأن هذا، وبالمناسبة، ربما يجدر بك أن تقرئى بريدك بدءًا من اليوم، سأرسل لك فواتير أشيائك الحمقاء، يا عاهرة النقود".

-"تبًا لك".

رفع لها إصبعه الأوسط ثم صفق الباب بقوة، وبينما مرام تبكى احتضنتها أختها وسألتها:

-"ماذا حدث؟"

فقالت لها:

-"لا شيء، أنا فقط أريد أن أكون بمفردى الآن".

ثم صعدت إلى غرفتها وتركت أختها فى حيرة، دخلت الغرفة وأغلقت الباب وأخذت تفكر فيما حدث، هل كان يجدر بها أن تفعل هذا، قالت لنفسها:

-"لا يهمنى شيء، كما قلت، الأفضل أن أكون بمفردى على أن أكون مع شخص غير حسام، هذا جيد، لأننى لن أكون مع حسام، لن يقبل بى بالفعل، إنه سعيد مع تلك اللعينة، يا لها من محظوظة، على الأرجح إن كل تفكيره هو كيف يجعلها سعيدة كل يوم، لا أعتقد أنه يفكر فىّ مطلقًا الآن".

الفصل العشرون

نادرًا ما يعطينا القدر فرصًا أخرى، لكنه يعطى من يستحق، فقط من يستحق فرصة ثانية وثالثة ورابعة إذا أراد.

-«أخبرتك إننى أريد أن أقابلك الليلة لأننى أريد أن أناقش شيئًا معك».

قالت منة هذا لحسام الجالس أمامها على الطاولة وينظر لها بين كل مطالعة وأخرى لقائمة الطعام، فقال لها:

-«ظننت أنك تريدين مقابلتى لإعطائى هدية».

-«حسنًا معى هديتين الآن، وستنال واحدة منهما فقط عند نهاية المناقشة، الآن ضع هذه القائمة».

شاورت للنادل فجاء وأمسك كراسته وقلمه وكان مستعدًا لأخذ طلبهما، فقال لها:

-«هل أنتما جاهزان للطلب الآن؟»

أجابته منة:

-«أجل، سنأخذ سرطان البحر لنا نحن الاثنين».

قال لها حسام:

-«لكننى لا أريد تناول سرطان البحر».

فقالت له منة:

-«بلى تريده».

ثم قالت للنادل:

-«حسنًا، يمكنك الذهاب الآن».

تردد النادل قليلًا بينما كان يسير مبتعدًا، نظر حسام إلى منة متعجبًا وقال لها:

-«حسنًا، ماذا يحدث هنا؟»

فاعتدلت فى جلستها وقالت له:

-«هناك مسلسل يُدعى

، أنت تعرفه، ذكرته لى من قبل أتتذكر هذا؟»

-«أجل بالطبع، أنا أعشقه».

-«حسنًا، دعنى أقتبس منه شيئًا ما، تتذكر فيبى؟ لقد كانت تتحدث عن روس ورايتشل وتقول إنهما lobster soulmates هل تتذكر عندما قالت هذا؟»

-«أجل».

-«أى إنهما رغم كل المشاكل ورغم كل شىء يمران به فهما فى النهاية سيكونان معًا».

-«أجل، ألهذا طلبت لى سرطان البحر؟»

-«نوعًا ما».

جاء النادل ووضع الطعام أمامهما فقال له حسام:

-«كان هذا سريعًا نوعًا ما!»

ابتسم له النادل وذهب، فقالت له منة وقد لمعت عيناها لتنبؤ حسام بما هو قادم من حديث:

-«من منا هى»

« الخاص بك يا حسام؟»

قالتها ورفعت يديها الاثنين لتشاور بأصابعها كعلامات التنصيص، فقال لها حسام:

-«عذرًا! لم أفهم هذا».

-«أنا أم مرام؟»

قال لها حسام بمجرد انتهاء جملتها:

-«أنت».

-"حسنًا، لماذا كنت تفكر بها أمس؟"

-"عذرًا؟!"

-"لقد كنت تفكر بها أمس، لا تنكر هذا وإلا أقسم إننى سأرحل الآن ولن ترانى مرة أخرى".

-"كيف عرفت هذا؟"

-"خطابك، لقد توقفت عن إرسال الخطابات لى منذ مدة، وعندما أرسلت واحدًا كانت بعد مشاجرة سببها مرام، حسنًا، إما أنك تريد أن تطمئننى أنك لا تحب مرام أو أنك تحب مرام وفكرت فيها أمس، ولكنك طردتها من تفكيرك بكتابتك خطاب لى لتخبرنى كم تحبنى".

-"حسنًا، هل كنت داخل رأسى أو ما شابه؟!"

-"إذن كنت تفكر بها بحق!"

-"ما هذا بحق السماء، إذا أنكرت التفكير بها ترحلين وإذا لم أنكره تقولين هذا!"

-"لم أكن لأرحل إذا حصلت على إجابة منطقية".

-"لكن ماذا يعنى هذا؟"

-"أنت أخبرنى، لماذا ما زلت تفكر بها؟"

-"أنت تنتظرين أن أخبرك إننى أحبها، أليس كذلك؟ فقط لترحلى من

هنا وتتحججين أنك لا تريدين رؤيتى مرة أخرى».

-«الآن تقلب الطاولة كعادتك اللعينة**!!** حسنًا، لن تفعل هذا، ليس الليلة، لماذا ما زلت تفكر بها؟»

تنهد حسام وكان عقله يعمل بكل جهد فى محاولة للفرار من هذا الموقف، لكن يبدو أن لا شىء قد يقال يمكن أن ينقذه.

-«هل تحبها؟»

-«منة، أرجوك، أنا لا أحبها، لقد أخبرتك السبب أمس».

-«لقد كنت تكذب أيها اللعين، لقد أقسمت لى وكنت تكذب».

-«أنا لم أكذ...»

قاطعته وعلا صوتها قليلًا ليبدأ جميع من فى المطعم ملاحظة الثنائى الذى يتشاجر:

-«أنت تكذب الآن».

صمت حسام لوهلة ولا يعلم ماذا يقول.

-«إذا كذبت مجددًا أقسم لك أننى سأضربك الآن بسرطان البحر هذا فى وجهك وأمام الناس».

-«حسنًا، فقط تملكى أعصابك».

-«إذن أخبرنى الحقيقة».

-«قد لا تودين سماعها».

-«بلى أريد».

-«قد تؤلمك يا منة».

-«صدقنى كذبك يؤلمنى أكثر».

-«حسنًا، لقد رأيت مرام منذ عدة أيام، وشعرت بالحنين لها».

-«هذا فقط؟ أخبرنى الباقى».

-«لا شىء يمكن أن أضيفه».

-«لقد نسيت أن تضيف إنك ما زلت تحبها».

-«هذا غير صحيح!»

-«بلى، أنت تحبها، أنا أعرفك جيدًا يا حسام، أنت ما زلت تحبها، قلها».

-«أنا أحبك أكثر يا منة، أقسم لك!»

-«لا تقل هذا، لا تنطق اسمى بفمك!!»

قامت منة من مقعدها وقالت له:

-«أريد أن أرحل».

-«انتظرى، لم أنهِ كلامى».

-«لا أريد أن أسمعه، لا أريد أن أسمعك مرة أخرى».

بدأت فى الابتعاد عن الطاولة حين ناداها حسام:

-"منة".

فالتفتت وعادت إليه وقالت:

-"لقد أخبرتك إن معى هدية من أجلك".

-"فقط اجلسى ولأعتبر هذه هديتى".

لم تعره بالًا وقامت بخلع خاتم يدها اليمنى ووضعته أمامه على الطاولة بينما ينظر لها بدهشة.

-"لا تحاول أن تصلح هذا الآن، إذا كنت ستعود فلتعد حين تنساها تمامًا".

-"لكننى نسيتها".

-"اصمت يا أحمق!"

غادرت منة المطعم وأخذت"تاكسى" إلى منزلها، ولكنها لم تكن تبكى كعادتها بعد كل مشاجرة مع حسام، لقد شعرت أنها تفعل الصواب، الآن إذا كان حسام يحبها فسينسى مرام من أجلها، وسيعود، وإذا كان يريد مرام فلقد أعطته الفرصة، وفى النهاية منة هى من سنربح، فإذا عاد فهذا معناه أنه تخلى عن أصعب شىء يمكن أن يتخلى عنه لأجلها، وإذا اختار مرام فهذا يعنى أنه كان منافقًا لعينًا من البداية، وعندما

وصلت إلى منزلها قالت لنفسها:

-"أيمكن أنه كان يمثل طيلة هذه الفترة؟ إنه ممثل بارع، من الممكن هذا، لكن لا أرجح تلك الفكرة، لقد مررنا بالكثير من الأشياء، أظن أنني أثرت على قلبه ولو بطريقة ما".

الفصل الحادي والعشرون

"عزيزتى، لقد مر الكثير من الوقت، فكرت كثيرًا وأنا الآن أعلنها لك،
، ستمر الكثير من الأعوام وسنمر بالكثير من
المشاكل لكن فى النهاية سنكون معًا، أنا اخترتك أنت، وأريد أن أكون معك لا مع أحد آخر، فلتمسكى يدى ولنخطو طريقنا معًا، ففى النهاية، أنا أحبك".

وضع الخطاب فى ظرف بنى وأغلقه بالشمع واختار وردة حمراء من حديقته وذهب ليضع الخطاب فى صندوق بريدها، لقد مر الكثير من الوقت بالفعل، ثلاثة شهور لا تريد أن ترد على اتصالاته الكثيرة ولا على رسائله، حتى توقف عن الاتصال وإرسال الرسائل لشهر وقرر أن يرسل لها خطابًا فى النهاية عسى أن تصفح عنه، ففى النهاية لقد توصل عقله وقلبه لاتفاق بخصوص مرام، لقد اختارت المال واختار هو الحب، فاختار منة، هو يعلم أنها على استعداد للتضحية بكل شىء من أجله،

فكان هو أيضًا كذلك، على استعداد لأن يضحى بكل شىء لأجلها.

لذلك قضى تلك الفترة يحاول أن يصلح ما أفسده بحماقته وسذاجته، لم يفكر أن يعود إلى مرام، لم يفكر فيها إطلاقًا، بل كرهها أكثر لأنها ما تزال تخرب عليه حياته، أخرج هاتفه واتصل بمنة التى لم تُجبه كالعادة فابتعد عن منزلها، دخل سيارته وذهب إلى المقهى الذى اعتاد أن يشرب فيه الشاى، دخله وأخذ يفكر فى الطريقة المثالية لكى يصالح منة، فخطرت تلك الفكرة على باله، كانت تلك الأفضل على الإطلاق بين كثير من الأفكار، فقط هى عليها أن تقرأ الخطابات وهو سيقوم بكل شىء، علا صوت بداخل رأسه يقول:

-«أظن أن هذا الوقت المناسب الآن؟»

الفصل الثاني والعشرون

فى الصباح التالى جاءت لمرام رسالة على هاتفها:

«لقد أمهلتك الكثير حتى تفكرى فيما قلتِه يا مرام، لكن يبدو أنك تصرين أن تكونى حمقاء، لم أرسل لك الفواتير لأننى اعتقدت أنك ستعودين لى، أما الآن فأعتقد أنك إذا قررتِ العودة فلن أسمح لك بهذا، ستجدين فواتيرك فى صندوق بريدك، إنه السابع، أليس كذلك؟»

قالت مرام لنفسها:

-«حسنًا أيها الأحمق لن أرغب بالعودة إليك، أعدك».

نزلت إلى الطابق الأسفل وذهبت إلى خارج منزلها ونظرت إلى صناديق البريد، لقد كانت تقع خارج سياج المنازل وليس داخلها، ولم يكن يأتيهم البريد من قبل، لذلك هى لا تعلم أى صندوق بريد هو صندوق منزلها، ذهبت إلى صندوق البريد السابع كما قال محمد وفتحته فوجدت داخله ظروف بيضاء عديدة فأخرجتهم وكادت أن تسير لولا أنها رأت

ظرف بنى وبجانبه وردة، أخرجته وتساءلت أهذا أيضًا من محمد؟ ثم عادت لمنزلها وصعدت غرفتها وأغلقتها وبدأت فى قراءة الخطاب.

"عزيزتى، لقد مر الكثير من الوقت، فكرت كثيرًا وأنا الآن أعلنها لك، ".

تذكرت تلك الجملة، إنها تعرفها جيدًا، إنها جملة من مسلسلها المفضل، لقد كانت تشاهده مع حسام، أكملت قراءه الخطاب حتى وصلت إلى:

"ففى النهاية، أنا أحبك".

أنهت هذه الجملة وقالت لنفسها:

-"لا يمكن أن يكون هذا خطاب قديم من محمد، هذا بالتأكيد من حسام، ما زال يحبنى!"

تقافزت من فرط سعادتها وقالت إن فرصتها جاءت الآن، كانت تبرر كل التساؤلات فى بالها بدافع الحب، فعندما سألت نفسها كيف عرف عنوانها، أجابت:"لأنه يحبنى"، وعندما تساءلت كيف يحبها بعد كل هذه السنين وما فعلته به أجابت:"حسنًا، لا بد إنه يحبنى".

أمسكت هاتفها وبحثت عن رقمه كثيرًا حتى وجدته فاتصلت به.

-"عذرًا الرقم المطلوب مغلق أو غير متاح".

-"اللعنة، لا بد إنه غير رقمه".

فكرت كثيرًا كيف تتواصل معه، لم يكتب عنوانه أو أى شىء على الخطاب، فقط كتب"م"، كانت تعلم أن هذه الـ"م" هى أول حرف من اسمها، وأن الوردة الحمراء هى بالتأكيد لها لأنها وردتها المفضلة، لم تشك للحظة أن هذا الخطاب من شخص غير حسام، وحاولت بكل الطرق أن تصل إليه، فقد ذهبت إلى منزله القديم فوجدت غيره يسكن فيه ولم يكن يعرف أين يسكن صاحبه القديم، بحثت عن كل صفحاته عبر وسائل التواصل لكن كل ما وجدته هو صفحة معجبين، وعندما وصلت إلى حسابه الشخصى ترددت، كانت لا تريد أن تفسد هذه اللحظة برسالة سخيفة قد لا يراها بين رسائل الكثير من المعجبين.

فقط قررت أن تنتظر رسالته التالية، وأن تتفقد صندوق بريدها هذا كل صباح إلى أن تجد الوردة الحمراء التالية.

الفصل الثالث والعشرون

مر أسبوع وكانت مرام ملتزمة بروتينها اليومى بدءًا من تفقد صندوق البريد فى الصباح حتى الجلوس بجانب الهاتف فى انتظار مكالمة تنقذ روحها، وفى اليوم السابع عند تفقدها صندوق البريد وجدت الخطاب الذى تنتظره بشده، بكت من شدة سعادتها قبل حتى أن تفتحه، أخذته وركضت إلى غرفتها وهناك فتحته وقرأت:

"اليوم هو اليوم المميز، اليوم النهائى، حيث تكون نهاية النقاشات والصراعات والمشاكل الكثيرة التى حدثت بيننا، سأنتظرك فى المقهى، المقهى الذى بجانب النهر هل تتذكرينه؟ لقد أعددت لك مفاجأة، وأحضرت لك هدية أيضًا، سأنتظرك فى السابعة وإن لم تأت سأنتظر إلى دقات الساعة الثامنة وإن لم تأت سأظل منتظرًا حتى منتصف الليل، لذا أرجوك تعالى فى السابعة ولا تتأخرى، أحبك".

أنهت الخطاب وبدأت تبكى مرة أخرى، قررت أن تذهب وتحكى له كل

شىء، كل ما كانت تخفيه عنه، بدأت تفكر فى ملابسها، ماذا سترتدى حين تلقاه، يجدر بها أن ترتدى شيئًا جميلًا، فستان، فهو يحب الفساتين، لذلك أخرجت كل الفساتين من دولاب ملابسها وأخذت ترتديها كلها، واحدًا تلو الآخر حتى اختارت واحدًا لونه أبيض لترتديه، قالت لنفسها:

-"إنه يحب اللون الأبيض".

ثم ابتسمت وقالت:

-"ويحبنى".

*****

نظرت منة إلى هاتفها لترى من يتصل وعندما وجدت اسم حسام لم تجب عليه، فلم تمر دقائق حتى وجدت رسالة تأتيها منه وتقول:

"لا أعلم إذا كنت تقرئين الخطابات التى أرسلتها أم لا، لكن أرجوك، أرجوك فلتكونى فى المقهى عند السابعة".

قالت منة لنفسها:

-"أى خطابات تلك، لقد توقف عن إرسالها منذ شهر؟"

ذهبت إلى خارج المنزل لتتفقد صندوق البريد فوجدته فارغًا، ثم عادت إلى المنزل وسألت أهلها:

-"هل تفقد أى أحد صندوق البريد فى الأيام الماضية؟"

لكن لم يجبها أى أحد إجابة ترضيها، فصعدت إلى غرفتها تفكر فى الخطابات التى يقصدها حسام، وهل يقصد خطاباته القديمة أم أنه أرسل خطابات أخرى ولم تقرأها، فكرت إذا كان أحد أخذهم من صندوق البريد ثم قالت لنفسها إنها تعيش فى منطقة متحضرة لا يمكن أن تجد بها هذا النوع من السلوك، ثم فكرت هل تذهب إلى المقهى لتقابله أم لا ، كانت تفكر منذ عدة أيام أن تجيب اتصالاته، فلا بد أنها كانت فترة كافية ليختارها، لذلك قررت أن تذهب إلى المقهى فى المساء وتقابله، قالت لنفسها:

-"إذا كنت أفهم ما يفكر فيه حسام جيدًا، فأظن أن الليلة هى الليلة التى ستحدد مصيرنا معًا".

قامت وأخرجت كل فساتينها من دولابها واختارت الفستان الأبيض لأنها تعلم كم يحب حسام هذا اللون وهذا الفستان بالتحديد، ثم بدأت فى تجهيز نفسها من أجل تلك الليلة.

*****

فى تمام السابعة كانت مرام تعبر الجسر حيث اعتادت أن تقابل حسام وتذكرت كل ما حدث هنا من قبل، أغرقها الجسر فى شلال من الحنين

والماضى، وعندما وصلت لنهايته وجدت المقهى فقالت لنفسها:
-"لا بد أن هذا هو المقهى الذى يقصده حسام".
ثم ذهبت إليه وفتحت الباب لتجد حسام يقف داخله منتظرًا، فدمعت عيناها وركضت إليه وعانقته وأخذت تبكى بينما هو يقف متحجرًا، كانت مرام آخر من يتوقع وآخر من يريد أن يراها فى هذه الليلة بالتحديد.
-"كنت أعلم أنك تحبنى، كنت أعلم هذا، أنا أيضًا أحبك، لقد أخطأت عندما تركتك، لقد كانت غلطة عمرى، أنا آسفة للغاية".
كانت تتحدث بكلمات مختلطة بدموعها وكانت تشد ذراعيها حول صدر حسام لتعانقه بقوة أكبر وما زال حسام يقف مذهولًا بما حدث فى الثوانى الفائتة، ولكنه تحدث فى النهاية وقال:
-"مرام، أنا..."
فقاطعته مرام وأنهت عناقه ثم نظرت فى عينيه وقالت:
-"لا تتكلم، انتظر، عندى الكثير لأحكيه لك".
-"لكن..."
-"لا تقاطعنى، انتظر حتى أنهى حديثى أرجوك".
فصمت حسام قليلًا ونظر إلى باب المقهى ثم نظر إلى مرام مرة أخرى

وكاد يتحدث لكن مرام لم تعطه الفرصة فقد جذبته من يده وأجلسته على مقعد وقالت له:

-«سأحكى لك كل شىء من البداية الآن».

البداية

لقد كان كل شىء على ما يرام، كنا معًا وكان كل شىء جيدًا، كنت تحاول أن تصل إلى حلمك وكنت أحاول أن أساندك، لكن فى يوم من الأيام شعرت بألم شديد فى صدرى، لم أعلم السبب، أخذ الألم فى التزايد والتزايد حتى لم أستطع مقاومته، فقدت الوعى، وحينما استيقظت وجدت نفسى فى مستشفى، كانت أختى فقط هى من معى، هى من اتصلت بالإسعاف وهى من أنقذت حياتى، أخبرنا الطبيب المسؤول عنى حينها بشىء سىء، شىء لم أتوقعه، كانت النهاية حينها، قال:

-«أنا أعتذر لما مررت به، وأعتذر لأننى أقول لك هذا».

-«ماذا؟»

-«تلك الآلام التى تعرضت لها هى آلام فى القلب، وأعتقد أنها ستتكرر مجددًا».

-«يا إلهى!»

-«أنا أعتذر للغاية، أعرف أن هذا أمر صعب عليك تقبله، لكن

قلبك ضعيف للغاية».

قالت له أختى:

-«هل نستطيع أن نكمل كلامنا بالخارج يا سيدى؟»

لكننى عاجلتها وقلت له:

-«أستسمحك ألا تذهب، أرجوك أكمل كلامك».

-«قلبك ضعيف للغاية، تلك الآلام التى مررت بها ستتكرر، وكلما تكررت كلما زاد تأثيرها على قلبك».

-«أتقصد أننى قد أموت؟»

-«كلنا سنموت يا عزيزتى، هذا قدر».

-«لكن ماذا تعنى؟»

-«أعنى إن ما حدث قد ينهى حياتك، ستظل هذه النوبة تتكرر وستفقدين الوعى كل مرة، ولكن هناك مرة لن تستيقظى فيها».

قالت له أختى بكل عفوية:

-«أنت أحمق أم ماذا؟ أرجوك اخرج من هنا الآن ولا تقل أى شىء آخر».

كانت صدمة كبيرة، سأموت، سيأتى يوم وينتهى كل هذا، ولكن ماذا سأترك خلفى، كل ما سأتركه هى قلوب محطمة من موتى، ومن بين كل هذه القلوب كان أكثرهم ضررًا هو قلبك أنت يا عزيزى حسام.

-«أرجوك انتظر، هل هناك أمل؟ هل هناك دواء ممكن أن يعالجنى؟»
قلت هذا للطبيب فى محاولة أن أطفئ نار خوفى ولكنه قال:
-«هذا القلب سيتوقف لا محالة».
دمرتنى إجابته، كان من الممكن أن يقول شىء لطيف أو أن يقولها بطريقة أفضل، لكن أظن أن كل الأطباء قد ماتت قلوبهم وفقدوا إحساسهم من كثرة ما رأوه.
-«لكن...»
أعادت تلك الكلمة الأمل إلى قلبى الضعيف مرة أخرى.
-«لكن إذا كان حظك جيدًا فعندما تفقدين الوعى للمرة الأخيرة قد نجد لك قلبًا آخر يقبله جسدك، أحيانًا تقع الحوادث ويموت الناس وتأتى قلوب جيدة ونعطيها لأشخاص فى مثل حالتك، فقط إذا وافق أهل الضحايا بهذا».
قالت أختى له:
-«لكن إذا كان يمكن أن تستبدل قلبها، ألا يمكن أن تستبدل قلبها بقلبى؟»
نظرت إلى أختى، نظرت إليها ورأيت فى عينيها خوف أراه لأول مرة، نحن نتشاجر كثيرًا، كثيرًا ما تصرخ على لأشياء تافهة، ظننت أنها تكرهنى،

ظننت أنها تريد أن تقتلنى وأنا أيضًا أردت هذا أحيانًا، لكن فى تلك اللحظة فقط، رأيت أنها قد تضحى بحياتها لأجلى، لحسن الحظ أن الطبيب قال:

-"لا يمكنك هذا، لكن يمكن لوالدتها".

قالت أختى بتعجب:

-"والدتى؟"

فأكمل الطبيب حديثه وقال:

-"إن مرام هى المولودة الأخيرة، أليس كذلك؟"

فقلنا فى صوت واحد:

-"نعم!"

فأكمل حديثه وقال:

-"إن المولود الأخير يحصل على نسخة مطابقة لقلب الأم، أما المولودان الأول والثانى يحصلان على نسخة مطابقة من قلب الأب".

قالت أختى:

-"من قال هذا الهراء؟"

فأجابها بجزم:

-"إنها نظرية صحيحة وضعتها ودرستها منذ عدة أعوام، ولقد طبقت

عليها الكثير من النماذج البشرية، كما أننى وجدت أن فصيلة دمها تختلف عن فصيلة دمك، وبما أنك الأخت الكبرى إذن فصيلة دمك هى فصيلة دم الأب، لذلك فصيلة دمها هى فصيلة دم الأم، هل هذا صحيح؟"

قالت له أختى:

-"نعم هذا صحيح، لكن، لكن..."

صمتت قليلًا ودمعت عيناها ولم تستطع أن تكمل جملتها فأكملتها أنا:

-"لقد توفت أمى منذ عامين، وعلى أى حال لم أكن لأدع أى شخص منكم يتبرع لى بقلبه".

قال لى الطبيب:

-"إذن فلتنتظرى حتى تقوم ساعتك".

كانت أختى تبكى بينما أنا أبحث عن أى أمل لإنقاذى، وإنقاذك يا عزيزى حسام فسألته:

-"ماذا يمكن أن أقوم به لتقليل عدد تلك النوبات بقدر المستطاع؟"

قال لى:

-"يجب أن تتوقفى عن أى فعل يتطلب مجهودًا وتقلعى عن التدخين،

وهناك تلك الجلسات، تقوم بتقوية قلبك بحقنه ببعض الأدوية لتقوية أنسجته وزيادة كفاءته، لكن تلك الجلسات باهظة الثمن للغاية».

-«نحن أغنياء».

-«أعلم هذا، الجلسة الواحدة تعادل مرتب أبيك لثلاثة أشهر، لا أعتقد أنك تستطيعين أن تحصلى على تلك الجلسات، فأنتِ تحتاجين على الأقل لواحدة كل شهر حتى تتحسنى بعد ثلاثة أعوام، وأثناء تلك الأعوام الثلاثة يمكن أن يتوقف قلبك عن العمل فجأة».

-«حقًا لا أعلم ماذا أقول، أنت تقول لى أن أنتحر الآن وأوفر على نفسى الآلام والنوبات القادمة، أليس كذلك؟»

نظر إلىّ بجدية وقال:

-«نحن لا نمزح بشأن الانتحار هنا».

صمتت ونظرت إلى أختى وهى تبكى، بدأت أنظر إليها كأننى سأراها لآخر مرة، بدأت أنظر إلى كل شىء هكذا.

-«فقط لا تتركى خلفك شخص حزين لفراقك، حاولى أن تجعلى كل الناس سعيدة بك قبل أن ترحلى، عذرًا، يجب أن أرحل الآن».

قالها ورحل، ولم أره مرة أخرى، كنت أفكر فى أهلى، فى أبى وأختى الحزينة التى تحتضنى وتبكى بحرقة، فكرت فيك يا عزيزى، لقد كنت

أعلم أن رحيلى سيدمرك، فلقد دمرنى رحيل أمى وأنا أراك تحبنى أكثر مما كنت أحب أمى، فماذا قد يفعل رحيلى بك إذن؟! لم أكن أعرف كيف أخبرك بهذا، لم أكن أعرف كيف ستتقبله، ظللت أفكر فى هذا لأيام حتى فى يوم من الأيام كان عمى موجودًا، وكان محمد ابنه معه، وقفنا فى الشرفة وقال لى:

–"مرام أريد أن أخبرك بشىء".

–"ماذا؟"

–"أنا أعلم أنك تحبين حسام، لكن فى الحقيقة، أنا أحبك".

–"ماذا تقول؟"

–"أنا أحبك، وعلى استعداد لفعل أى شىء من أجلك".

–"لكن..."

–"أرجوك لا تكملى حديثك، لقد كنت أريد قول هذا وحسب".

ظننت أن تلك هى فرصتى، فرصتى لأنقذك، سأتركك وأقول لك إننى أحب محمد وإننى سأتزوجه، إنه صديقى منذ الطفولة وأنا أعلم أنه يحبنى كثيرًا، وأنت كنت تعلم هذا، لذلك سأخبرك إننى اخترته بدلًا عنك، وإننى أحبه هو وليس أنت، لن يدمرك هذا، سيجرحك فقط، ستريد أن تكمل حياتك وتحقق حلمك لكى تقول لى إنك حققته، وإننى كنت

مخطئة عندما تركتك، مرت هذه الفكرة على سريعًا، فقررت تنفيذها، فقلت لمحمد:

-"هل ستتزوجنى إن قلت لك إننى أحبك؟"

نظر إلىّ متفاجئًا وقال:

-"بالطبع!"

فقلت له:

-"أنا أحبك".

لم أفكر إننى كنت أنانية ناحية محمد، أو إننى سأدمره برحيلى، لكن كل ما فكرت فيه هو إنقاذك أنت، كما أن محمد غنى وناجح، كل الفتيات يتمنين شخص مثله، لكن أنت، إذا رحلت عنك وأنت ما تزال ممثلًا مغمورًا يبحث عن كل فرصة لينتهزها فستقتل نفسك يا عزيزى، عند تلك الفكرة تركتك وذهبت لأكمل الطريق مع محمد، لكننى فى النهاية لم أستطع أن أحبه ولا أن أكمل الطريق معه، لقد قررت فى النهاية أن أموت بجانبك، ستكون تلك الطريقة المثالية لنهايتى.

الفصل الأخير

أحيانًا الفرص الأخرى قد تكون لعنة، مجرد لعنة أو سخرية من القدر، ربما كان يجب أن نكتفى بمجرد فرصة واحدة ولا نطلب المزيد.

وقف حسام مدهوشًا باكيًا لما سمعه، لم يكن يدرى ماذا يقول، رفضت الكلمات أن تغادر فمه، كان يشعر بالبرد فى ظهره وفى أنامله، كان يرتعش، اقترب منها وعانقها بشدة، عانقها ليبحث عن الدفء، عن الكمال، عن روحه التى فقدها يوم رحلت عنه، قال لها:

-"كل هذا الوقت؟ كل هذا الوقت يا مرام كنت تحاولين إنقاذى".

-"أجل، كنت أعلم ما سيفعله بك موتى، وأنا لم أرد لهذا أن يحدث".

كانت تبكى أيضًا، وكانت تعانقه وتشد ذراعيها بكل قوتها هذه المرة، دفنت عينيها فى صدره وبكت حتى ابتل قميصه.

-"حسنًا، يجدر بى الذهاب الآن، لقد جئت فى وقت غير مناسب".

قالتها منة بصوتٍ عالٍ ليسمعها حسام، فابتعد عن مرام ونظر إلى منة

وقال:

-«أنا أعتذر، منة أنا أعتذر عن هذا للغاية!»

وقفت منة وبدأت تدمع عيناها بينما قالت مرام:

-«لماذا تعتذر؟ ألست تحبنى أنا».

فقالت له منة وهى تبدأ فى البكاء:

-«إذا كنت تحبها بالفعل لماذا أرسلت لى لأحضر؟ هل كنت تريد الحصول على مباركتى لكى تتزوجها».

قال لها حسام:

-«لا، لقد كان خطئًا، أريدك أن تفهمى».

-«أفهم ماذا؟ لقد قمت باختيارك بالفعل».

-«أنا لم أختر أحدًا».

حينها فقط توقفت منة عن البكاء ونظرت إليه مرام مستنكرة لما قاله، فتحركت لتقف بمحاذاة منة، فأكمل حسام كلامه بعد صمت دام لبضع ثوانى:

-«انظرى حولك، لقد حجزت المقهى لهذه الليلة لأطلب منك الزواج، انظرى، لا أحد معنا هنا، هناك الكثير من البالونات والزينة فى كل مكان، لا أحد كان يعلم بشأن هذا غيرك».

-"لكن يبدو أن مرام علمت بهذا أيضًا".

-"لا أعلم كيف عرفت هذا، كيف عرفت هذا؟"

قالت مرام:

-"أنت من أخبرتنى، أنت من أرسلت لى الخطابات منذ أسبوع واليوم، لقد أخبرتنى أن آتى إلى المقهى عند الجسر، لقد قلت لى إنك ما تزال تحبنى وإنك تحضر لى مفاجأة".

قالت لها منة:

-"حسنًا، أظن أن هذه الخطابات تخصنى أنا لا أنت".

فقال حسام:

-"أنا أظن هذا أيضًا".

فقالت مرام:

-"لكنك أرسلتها لمنزلى!"

عاجلتها منة وقالت:

-"لقد أرسلها إلى منزلى وأنت سرقت الخطابات من صندوق بريدى".

سأل حسام:

-"هل أنتما جارتان؟"

فقالت منة:

-«أجل كما يبدو، أنا أعرفها شكلًا، وأعرف أن اسمها مرام، لكننا لسنا صديقتين، عندما رأيتك تعانقها فهمت كل شىء، وعرفت أن اللعينة التى كسرت قلبك من قبل وسرقت الخطابات من صندوق بريدى هى اللعينة نفسها التى تقف معنا الآن».

نظرت إليها مرام وكادت تبكى وقالت:

-«إنه صندوق البريد السابع، إنه صندوق بريدنا».

فقالت منة:

-«لا أيتها الحمقاء، صندوقك هو الثامن».

نظر حسام إلى مرام التى بدأت فى البكاء من الموقف المحرج الذى كانت فيه وقال:

-«لقد أخطأت لا تقسى عليها يا منة».

-«أنا لا أقسو عليها، هى من جاءت إلى هنا وتحاول سرقتك منى».

فقال لها حسام:

-«هى لم تحاول سرقتك، لقد كانت تظن أن الرسائل أرسلت لها».

كانت مرام تبكى وذهبت ناحية الباب لتغادر المقهى لكنها عادت واعتذرت لهما وقالت لحسام:

-«لا يهم ما سوف يحدث، لقد قلت لك ما خبأته عنك، لقد مر الكثير

من الوقت، ولقد حققت حلمك ووصلت إلى ما كنت تريد الوصول إليه، أنت الآن الممثل الناجح الذى تريد كل الشركات التعاقد معه، لقد أنقذتك يا حسام، وهذا كل ما يهم".

قالت منة:

-"ما الذى تقولينه بحق السماء؟"

فقال لها حسام بصوتٍ عالٍ:

-"منة! اصمتى قليلًا وحسب، إنها على حق".

بدأت منة تبكى مرة أخرى وبجانبها مرام تبكى وأمامهما حسام يقف فى حيرة من أمره لا يعرف ماذا يفعل.

قالت له منة:

-"سنظل واقفين هنا طوال الليل حتى تختار أحدنا، صدقنى لقد تمنيت هذا حقًا لكى أرتاح من العذاب، ففى كل يوم أشعر أنك تحبنى لكن أشعر أنك ستختار مرام إذا عادت، فلتختر واحدة الآن وأرح قلبى".

قالت له مرام:

-"أنا كذلك، كنت أتمنى فرصة أخرى، فرصة لأخبرك إننى أحبك، وأننى سأموت وأنا أحبك، وها قد حصلت عليها، لذا أيًا كان قرارك فأنا سأكون سعيدة به طالما أنت سعيد، هذا كل ما يهمنى".

نظر حسام لهما عدة مرات وصمت تمامًا، كان فى موقف لا يحسد عليه، كأن كل الحيرة فى الكون توقفت فى عقله لتجعله عاجزًا أمام هذا السؤال الوحيد، من منهما سيختار.

قالت له مرام:

-"أرجوك فلتختر واحدة ودع الأخرى تذهب، حتى ينتهى الأمر".

قام حسام بالنظر إليهما عدة مرات وبدأت عيناه تدمع وفى النهاية وضع يده فى جيب سترته وأخرج منه خاتمًا، ركع على ركبته أمام إحداهما وأمسك الخاتم بيديه الاثنين وقال:

-"هل تتزوجيننى؟"

النهاية

شكر

لكل مرة عاد إلىّ الأمل وجعلنى أكتب فى كل مرة كنت أتوقف عن الكتابة.

لعائلتى الأولى، أبى وأمى وأختىّ، جدىّ وجدتىّ، جميع أولادهم الذين أخبرونى إننى سأغدو كاتبًا يومًا ما.

لأمى الثانية الدكتورة سعاد صالح، لأنها آمنت بى عندما فقدت إيمانى بنفسى.

لتلك المجموعة الصغيرة

ولكل ما ساعدونى به.

لمهند وعمر جارىَّ وصديقا طفولتى وعمرى.

لمحمد معتز الذى عرفته طول حياتى وأعتبره أخى.

لسيف الدين محروس وحسام محمود، لولاهما ما كتبت هذه الرواية، لأنهما دائمًا هنا من أجلى.

للصحبجية، عائلتى الثانية التى أشبههم ويشبهوننى وأجد نفسى بينهم

عندما تضل روحى.

لمن قرأت لى كل ما كتبت وفى كل مرة كانت تقول إننى كاتب عظيم فى نظرها، مريم وائل.

لندى نبيل لأنها شاركتنى كل آلامى وآمالى ولم ترحل.



تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub